الإسلام باعتباره استمرارًا للتوحيد التوراتي والدين النبوي بعد عصر الهيكل

ملاحظة المؤلف (الغرض والحدود)

تقدم هذه الدراسة تحليلاً تاريخياً لاهوتياً مقارناً لكيفية إعادة تشكيل التوحيد التوراتي بعد تدمير الهيكل الثاني (70 م). وتدرس كيف صاغت كل من اليهودية والمسيحية والإسلام مفاهيم العبادة والتوبة والشريعة والسلطة في سياق ما بعد الهيكل، مستشهدةً بنصوص أصلية لتمكين القراء من تقييم الحجة بشكل مباشر.

خلاصة

أدى تدمير الهيكل الثاني عام 70 ميلاديًا إلى جعل نظام الذبائح التوراتي، الذي يتمحور حول المذبح، غير قابل للتطبيق تاريخيًا، مما أثار إشكالية استمرارية دينٍ قائم على العبادة والشريعة. تتناول هذه الدراسة المقارنة هذه الإشكالية من خلال تحليل تاريخي لاهوتي مقارن لردود الفعل بعد تدمير الهيكل، متسائلةً عن كيفية الحفاظ على العبادة والتوبة والسلطة الدينية عندما يغيب مكان العبادة. تحافظ اليهودية الربانية على الحياة العهدية من خلال الصلاة والدراسة واستمرارية الشريعة اليهودية في انتظار إعادة بناء الهيكل. أما المسيحية، في تطورها السائد، فتعيد تركيز الكفارة على الصلب وتفسر فقدان الهيكل من خلال هذا الحدث. يقدم الإسلام نموذجًا مختلفًا: شكلٌ من أشكال التوحيد النبوي، تحكمه الشريعة، وقابل للتطبيق دون الحاجة إلى مذبح أو كهنوت، ويرتكز على الوحي المنقول ونمط ثابت من العبادة العامة. توضح هذه المقارنة كيف تعالج هذه المسارات مسألة قابلية التطبيق والاستمرارية بطرق متباينة في المشهد الديني بعد عام 70 ميلاديًا. وهكذا، يصوّر الإسلام نفسه على أنه استعادة للتوحيد التوراتي بعد بناء الهيكل بدلاً من كونه خروجاً عنه.

المنهج والنطاق

تقارن هذه الدراسة ثلاثة مسارات ما بعد الهيكل—اليهودية الربانية، والمسيحية، والإسلام—من خلال التوافق التراكمي بدلًا من الاعتماد على نصوص منفردة. تبدأ الدراسة من الانقطاع التاريخي عام 70 ميلاديًا، وتقيّم كيف حافظ كل تقليد على العبادة والتوبة والشريعة والسلطة بعد زوال نظام المذبح في الهيكل. يقتصر نطاق الدراسة على هذه المسائل البنيوية، ولا تسعى إلى تقديم تاريخ شامل للتطور العقائدي اللاحق. تُدرج اقتباسات الكتاب المقدس بالعربية للاسترشاد (اعتمادًا على ترجمة سميث وفان دايك حيث أمكن)، وتُدرج الآيات القرآنية بنصها العربي. القارئ المستهدف هو غير المتخصص الراغب في متابعة المقارنة خطوة بخطوة.

مقدمة

تبدأ معظم النقاشات حول اليهودية والمسيحية والإسلام متأخرة جدًا. إذ تنطلق من الهويات المعاصرة أو العقائد اللاحقة، دون شرح مسبق للعالم التوراتي الذي تفترضه تلك العقائد. وتبدأ هذه الدراسة بهذا الإطار.

لماذا هذا مهم؟

يُعدّ تدمير الهيكل اختبارًا لمشكلة أوسع في التاريخ الديني: كيف يُمكن لتقليد قائم على الشريعة أن يُحافظ على العبادة العامة والسلطة عندما تنهار مؤسسته المركزية؟ من خلال مقارنة نماذج ما بعد عام 70 ميلاديًا، تُوضّح هذه المقالة الطرق المختلفة التي يُمكن من خلالها الحفاظ على الاستمرارية - من خلال الحفظ في ظل الحرمان، أو من خلال إعادة تفسير الكفارة والسلطة، أو من خلال ادعاءات التوجيه المُتجدد التي لا تعتمد على وجود معبد.

يشير مصطلح "التوراة" هنا إلى الإطار العهدي للعبادة والشريعة في أسفار موسى، وهو نظام يربط بين التعبد الخالص لله والطاعة الفعلية، والحياة الجماعية، والمعالجة الكتابية للخطيئة والتوبة. وهذا يُرسي الأساس للقطيعة الموصوفة لاحقًا.

لأكثر من ألف عام، تمحورت عبادة التوحيد التوراتي حول مركز مؤسسي ملموس. لم تكن عبادة إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب مجرد مسألة لاهوتية، بل كانت ممارسة إجرائية. لم تصف التوراة العبادة المجردة فحسب، بل شرّعت نظامًا عمليًا للطاعة والتوبة والتكفير، مرتبطًا بمقدس ومذبح. كانت حياة العهد تُعاش من خلال وصايا يمكن ممارستها علنًا، وبشكل متكرر، وبكاملها. التوراة واضحة في هذا الشأن: الوسائل المحددة التي تُعالج بها الخطيئة وتُناقش بها سبل التوبة في إطار العهد.

"لأن حياة الجسد في الدم، وقد جعلته لكم على المذبح للتكفير عن نفوسكم؛ لأن الدم هو الذي يكفر عن الحياة." (لاويين 17:11)

يُصوّر سفر اللاويين الكفارة كعملٍ يُقام على المذبح ويتضمن الدم. وبمجرد غياب المذبح من التاريخ، يتعذر تنفيذ الآلية المنصوص عليها في التوراة كما هي مكتوبة. وتكمن المشكلة الناتجة في استمرارية النص، وهي مشكلة عملية ونصية: فالأوامر تبقى على الورق، بينما تختفي وسائل الامتثال.

من هذه النقطة فصاعدًا، يتفرع التاريخ الديني للتقاليد الإبراهيمية بشكل واضح، ليس بسبب خلاف عقائدي مجرد، بل بسبب اختلاف الإجابات المقدمة لهذه المشكلة البنيوية الواحدة. تستجيب اليهودية الربانية بالحفاظ على هوية العهد من خلال الصلاة والدراسة واستمرارية الشريعة، محافظةً بأمانة على سلطة التوراة في ظل واقع المنفى وانتظار العودة. أما المسيحية، في تطورها المهيمن بعد الهيكل، فتحل هذا الانقطاع بإعادة تركيز الكفارة على الصلب، ناقلةً بذلك المذبح من موقع مادي إلى حدث خلاصي أبدي. في المقابل، يدّعي الإسلام شيئًا مختلفًا: أن الله يعيد الدين النبوي نفسه - التوبة والطاعة والشريعة والعبادة المباشرة - في شكل متنقل وعالمي ومستقل عن أي مكان مقدس، مع تأكيده في الوقت نفسه على استمراريته مع التوحيد الإبراهيمي.

يبدأ الأمر بالتأكيد على أن القطيعة حقيقية، وأن المشكلة حتمية، وأن الحلول مختلفة جوهريًا. فقط بعد الاعتراف بهذه الأزمة التاريخية والنصية يمكن تقييم الادعاءات اللاحقة حول النبوءة والقانون والاستمرارية دون تحريف.

تُقرأ عدة خيوط من النصوص المقدسة معًا لتشكيل صورة متماسكة: توحيد لا هوادة فيه؛ التوبة والطاعة جوهر الدين؛ إرشاد قائم على الشريعة يُنظم الحياة الجماعية؛ وأفق متسع لا يقتصر فيه الإرشاد الإلهي على سلالة واحدة أو مكان واحد. هذا الأفق المتسع ليس من ابتكار الإسلام. فالنص التوراتي يتحدث بالفعل عن مراحل وتحولات في الرعاية دون التخلي عن التوحيد: سيناء مركزية، ومع ذلك تظهر سعير وفاران في الأفق؛ إسحاق مُختار، ومع ذلك يُوعد إسماعيل بالأمة؛ القدس مركزية، ومع ذلك يُتصور أن الأمم تتجه إلى الله. هذه العناصر ليست خريطة، بل تُؤسس لمساحة نصية: فالكتاب المقدس نفسه يسمح للإرشاد بالانتقال إلى ما وراء مركز مؤسسي واحد عندما يتطلب التاريخ ذلك. ضمن هذا الإطار، لا تُقيّم الادعاءات اللاحقة بحصرها في آية واحدة، بل بالتساؤل عما إذا كانت، بعد قطيعة ما بعد الهيكل، تُقدم ذلك النوع من الاستمرارية الذي يُتيحه النحو التوراتي. قبل مقارنة المسارات اللاحقة، تحدد المقالة خط الأساس بين التوراة والأنبياء، وتشير إلى استمرارية العهد في اليهودية بعد عام 70، ثم تنظر في أصوات أواخر فترة الهيكل الثاني (بما في ذلك يسوع) كنقاط مرجعية تستحضرها مناقشات الاستمرارية اللاحقة في كثير من الأحيان.

يتناول هذا النقاش أربعة محاور. أولًا، يُصوّر فقدان المذبح بعد عام 70 ميلاديًا كأزمة ممارسة حقيقية، نابعة من النصوص، لا مجرد حدث عاطفي. ثانيًا، يُرسي أساسًا من التوراة والأنبياء، حيث تُشكّل عبادة الله وحده، والتوبة، والطاعة إطارًا للحياة العهدية. ثالثًا، يصف استمرارية اليهودية بعد الهيكل وفقًا لمعاييرها الخاصة، ثم ينظر في أصوات أواخر الهيكل الثاني (بما في ذلك يسوع) كنقاط مرجعية معاصرة غالبًا ما تستند إليها نقاشات الاستمرارية اللاحقة. رابعًا، يُقارن بين المسارات الرئيسية لما بعد الهيكل (اليهودية الحاخامية، والمسيحية البولسية، والإسلام)، ويتساءل أيها يُحافظ على شكل عملي وقابل للتطبيق من العبادة الإبراهيمية مع الحفاظ على التوحيد المطلق.

قبل التطرق إلى التطورات المسيحية اللاحقة أو ظهور الإسلام، تحدد المقالة خط الأساس للتوراة والأنبياء، ثم تنظر في أصوات أواخر فترة الهيكل الثاني التي تعمل ضمن هذا الخط، بما في ذلك تعاليم يسوع العلنية المسجلة كنقطة بيانات واحدة بينما كان الهيكل لا يزال قائماً.

الأساس في التوراة والأنبياء

أي تقييم لاستمرارية ما بعد الهيكل يجب أن يبدأ بالتوراة والأنبياء أنفسهم. ففي جميع أنحاء الكتاب المقدس العبري، تُعامل عبادة الله وحده، والتوبة، وطاعة الشريعة، والتوجيه الأخلاقي العام كعناصر أساسية لا تقبل المساومة في الحياة العهدية. ينتقد الأنبياء مرارًا وتكرارًا الطقوس الفارغة عندما تنفصل عن العدل والطاعة، ومع ذلك يفعلون ذلك دون إلغاء الشريعة أو إنكار الأهمية التاريخية للهيكل. يُرسي هذا النمط النبوي الداخلي الأساس الذي يمكن من خلاله تقييم أصوات الهيكل الثاني اللاحقة، وفي نهاية المطاف مسارات ما بعد الهيكل.

بالنسبة لليهودية، يُعبَّر عن استمرارية ما بعد عام 70 داخليًا من خلال الحياة العهدية - التوراة والصلاة والدراسة - بدلاً من الإشارة إلى يسوع. يُقدَّم يسوع هنا ليس كمنظور لليهودية، بل كصوت معاصر من أواخر فترة الهيكل الثاني، والذي غالبًا ما تستند إليه نقاشات الاستمرارية اللاحقة في تعاليمه المحفوظة.

صوت يهودي من أواخر فترة الهيكل الثاني

مع وجود أساس التوراة والأنبياء، يصبح من الممكن النظر في أصوات أواخر فترة الهيكل الثاني التي تعمل ضمن هذا الإطار. ينتمي يسوع إلى تلك الحقبة اليهودية المتأخرة من الهيكل الثاني، ويمكن قراءة تعاليمه العلنية المسجلة كأحد المؤشرات على كيفية التعبير عن الاستمرارية أثناء وجود الهيكل. هذا لا يحسم الادعاءات اللاحقة بحد ذاته؛ بل يحدد فقط ما تم تأكيده أو رفضه أو تركه مفتوحًا ضمن سياق التوراة.

يمكن تقييم أي نقاش حول التوجيهات اللاحقة في ضوء مرجع مفيد: ما ورد عن تأكيد يسوع ضمن إطار التوراة والأنبياء الذي أقره مجتمعه. لا يُمثّل تعليمه العلني المحفوظ هنا محورًا تفسيريًا لليهودية للقطيعة، بل هو مجرد معلومة معاصرة من أواخر فترة الهيكل الثاني، غالبًا ما تُستشهد بها نقاشات الاستمرارية اللاحقة.

"لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل" (متى 5:17).

"لأني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض، لن يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة حتى يتم كل شيء" (متى 5:18).

«وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِن كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ.» (تثنية 6: 5، ترجمة الجمعية اليابانية للنشر 1917) «لاَ تَنْصِفْ عَلَى بَنِي شَعْبِكَ، وَلَا تَحْتَقِمْ عَلَى بَنِي شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ.» (لاويين 19: 18، ترجمة الجمعية اليابانية للنشر 1917)

"وقال الرب: لأن هذا الشعب يقترب، ويكرمني بفمه وشفتيه، ولكنه أبعد قلبه عني، وخوفه مني وصية بشرية تعلموها بالحفظ؛" (إشعياء 29:13)

"اتقوا الرب إلهكم، وإياه تعبدون، وباسمه تحلفون." (تثنية 6:13)

"لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" (خروج 20:3)

"ليس كل من يقول لي: يا رب، يا رب، يدخل ملكوت السماوات، بل الذي يعمل بمشيئة أبي الذي في السماوات." (متى 7:21)

سيقول لي كثيرون في ذلك اليوم: يا رب، يا رب، ألم نتنبأ باسمك؟ وباسمك أخرجنا الشياطين؟ وباسمك صنعنا عجائب كثيرة؟ فأقول لهم حينئذ: إني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم. (متى 7: 22-23)

لا يقتصر التحذير على الجانب الأخلاقي فحسب، بل يتعلق بالاستمرارية مع أوامر الله. يُنظر إلى "الخروج عن الشريعة" على أنه سبب للاستبعاد. وهذا ما يجعل من الصعب تصوير يسوع على أنه مؤسس دينٍ سمته المميزة هي التخلي عن الشريعة كفئة من فئات الطاعة. ويؤكد الانقطاع الذي أعقب بناء الهيكل هذه النقطة. يتحدث يسوع في عالمٍ لا يزال فيه الهيكل قائمًا، ومع ذلك فإن تعاليمه تُهيئ مرارًا وتكرارًا لإيمانٍ قادرٍ على الصمود في وجه فقدان الوصول المؤسسي دون أن ينهار في يأسٍ روحي. عندما يقتبس من هوشع:

"لأني أردت رحمة لا ذبيحة، ومعرفة الله أكثر من المحرقات." (هوشع 6:6)

هو لا ينكر نظام الملاذ في التوراة باعتباره خدعة؛ بل يعيد التسلسل الهرمي النبوي: فالطقوس لا يُقصد بها أبدًا أن تحل محل

"من ثمارهم تعرفونهم" (متى 7:16)

"لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمة تثمر ثماره." (متى 21:43)

المنطق الأخلاقي للتوجيه بعد الانفصال

إذا كان تدمير الهيكل يُشكّل أزمةً في إمكانية تطبيق الشريعة في دينٍ مُلزمٍ بالقانون، فإنّ السؤال الأعمق يصبح أخلاقيًا ودينيًا: فالكتاب المقدس يُصوّر التاريخ الإلهي البشري على أنه قائم على التوجيه، حتى في اللحظات التي تفشل فيها الآليات المؤسسية. ويُقدّم الكتاب المقدس مرارًا وتكرارًا علاقة الله بالبشرية على أنها قائمة على التوجيه. فالله لا يُدين فحسب، بل يُعلّم ويُنذر ويُذكّر.

"لا يفعل الرب الإله شيئاً إلا إذا كشف مشورته السرية لعبيده الأنبياء" (عاموس 3:7).

ليس النمط أن الله يتكلم مرة واحدة ثم يترك البشرية تتخبط إلى أجل غير مسمى؛ بل على العكس،

"الله الذي كلم الآباء قديماً بالأنبياء في أزمنة مختلفة وبطرق متنوعة" (عبرانيين 1:1)

«قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ» (القرآن 5:15)

"وأرسل إليهم الرب إله آبائهم بواسطة رسله، فقام مبكراً وأرسل، لأنه كان يرحم شعبه ومسكنه." (أخبار الأيام الثاني 36: 15)

"التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقطار الأرض" (إشعياء 45:22)

إذا كان هذا هو المنطق الأخلاقي الإلهي في الكتاب المقدس - التوجيه الرحيم بدلًا من التخلي - فإن عالم ما بعد الهيكل يُرسخ التوقع بأن يظل التوجيه متاحًا بشكل عملي، لا سيما للأمم، عندما تصبح الآلية المؤسسية القديمة غير متاحة تاريخيًا. وهذا يُرسخ المعقولية المفاهيمية لمزيد من التوجيه باعتباره استمرارًا للنمط النبوي.

فئة كتابية للإرشاد المستمر

إنّ أخذ تمزق الهيكل على محمل الجدّ يثير سؤالاً مباشراً: هل يسمح الكتاب المقدس باستمرار التوجيه بشكل عملي عند انهيار الآليات المؤسسية القديمة؟ يصوّر الأنبياء مراراً وتكراراً تعامل الله مع البشرية على أنه توجيه لا هجر.

ويفترضون إفصاحاً واضحاً ومفهوماً.

"إن الرب الإله لا يفعل شيئاً إلا إذا كشف سره لعبيده الأنبياء" (عاموس 3:7).

إذن، المنطق الأخلاقي للنبوة ليس "تكلم الله مرة ثم انصرف"، بل هو أن الله يدعو، ويحذر، ويصحح، ويعيد الأمور إلى نصابها. وضمن هذا النمط، تتلاقى عدة مواضيع لتشكل صورة واضحة لما يمكن أن تبدو عليه الهداية المستمرة، لا سيما على نطاق أوسع يتجاوز شعبًا واحدًا. لا يُطلب من نص واحد أن يحمل الحجة كاملة. المهم هو التراكم: شعاعٌ يُرسي أفقًا أمميًا؛ وآخر يُحدد شكل السلطة النبوية؛ وثالث يُقدم قواعد النقل والاستمرارية في ظل الانقطاع. مجتمعةً، تجعل هذه العناصر فئة الهداية الإضافية مفهومة قبل ظهور أي مُدّعٍ لاحق.

إن أفق الأمم واضح في النصوص النبوية. يتحدث إشعياء مرارًا وتكرارًا عن نطاق أوسع لا يقتصر فيه قصد الله على إسرائيل وحدها:

وقال: «إنها لهو أمر يسير أن تكون عبدي لتقيم أسباط يعقوب، وتردّ محفوظي إسرائيل. سأجعلك نوراً للأمم، لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض». (إشعياء 49:6)

"التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقطار الأرض، لأني أنا الله وليس غيري" (إشعياء 45:22).

يحتوي النص النبوي على مسار موجه نحو الأمم، حيث يتم فيه إرساء عبادة الإله الواحد علنًا بما يتجاوز أي عرق واحد.

"سيرجعون إلى الوراء، وسيخزون خزياً عظيماً، أولئك الذين يثقون في التماثيل المنحوتة، والذين يقولون للتماثيل المسبوكة: أنتم آلهتنا." (إشعياء 42:17)

«سأقيم لهم نبياً من بين إخوتهم مثلك، وسأضع كلامي في فمه، وسيكلمهم بكل ما أوصيه به». (تثنية 18:18)

هذا ليس مجرد "معلم جيد"، بل هو تعليم ملزم يُنقل على أنه كلام الله. في عالم ما بعد الهيكل، يكتسب هذا التمييز أهمية بالغة: فالدين الذي يحمل شريعة قابلة للتطبيق بين الأمم يتطلب سلطة راسخة وممارسة ثابتة. لذا، يُتوقع أن يُطرح أي ادعاء بالاستعادة بأسلوب الخطاب المنقول، لا كإعادة بناء لاحقة تعتمد على تفسيرات شخصية. يمكن قراءة إشعياء 29 كنص داعم دون أي تزييف. يصف إشعياء "كلمات كتاب" تُنقل.

"لشخص غير متعلم، أقول له: اقرأ هذا من فضلك، فيقول: أنا لست متعلماً" (إشعياء 29:12).

الأمر المهم متواضع ولكنه ذو صلة: لا يشترط الكتاب المقدس أن يكون رسول الله كاتبًا بارعًا؛ بل يصور وصول الكلمات الموحى بها إلى شخص غير "متعلم" بالمعنى المتعارف عليه. يصبح هذا الأمر ذا أهمية عند تقييم المدعين اللاحقين الذين يقدمون أنفسهم كقراء ومبشرين بدلًا من كونهم مؤلفين يبنون نظامًا لاهوتيًا. أما الركيزة الثالثة فتأتي من سفر دانيال، الذي يقدم قواعد للاستمرارية والانتقال في ظل الاضطراب. لا تقتصر رؤى دانيال على الإمبراطوريات فحسب؛ بل تجعل عالم ما بعد الهيكل مفهومًا ضمن الكتاب المقدس. يصور دانيال 2 تعاقب الممالك ثم سيادة لا تعتمد على ديمومة الإمبراطوريات السابقة - مؤسسة راسخة تقف على انهيار السيادات السابقة (دانيال 2: 34-35، 44). يضفي دانيال 7 طابعًا رسميًا على لغة الانتقال: تُمنح السيادة وتُنزع؛ وتنتقل السلطة؛ و"المملكة والسيادة" في نهاية المطاف

"معطى" (دانيال 7: 14، 27)

نبي مثل موسى والوحي العلني

قبل أن يتساءل المقال عما إذا كان أي مدّعٍ لاحقٍ يُناسب الصورة النمطية لما بعد الهيكل، لا بدّ له من توضيح نوع التوجيه الذي يتوقعه الكتاب المقدس نفسه. وهنا تكمن أهمية وصف "نبيٍّ مثل موسى"، ليس كشعارٍ بل كفئةٍ قائمةٍ بذاتها. فموسى ليس مجرد مُعلّمٍ أخلاقيٍّ مُلهم، بل هو الرسول النموذجيّ الذي يُجسّد الكلام المنقول، والذي يُشكّل إعلانه جماعةً عابدةً مُلتزمةً بالشريعة. فالعهد ليس مفهومًا مُجرّدًا، بل يُصبح نظامًا عامًا لأن موسى يُقدّم تعليماتٍ مُلزمة. ويصف سفر التثنية هذا النمط بوضوح.

"سيقيم لكم الرب إلهكم نبياً مثلي من بينكم، من إخوتكم، فاستمعوا إليه" (تثنية 18:15).

ثم يشرح النص ما يعنيه "مثل موسى": "سأقيم لهم نبياً من بين إخوتهم مثلك، وأضع كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به." (تثنية 18:18)

«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» (القرآن 96:1)

«وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (القرآن 53:3-4)

بحسب منطق تصنيف سفر التثنية، لا يكمن التقييم في ما إذا كان النص يشبه كتابًا حديثًا، بل في ما إذا كان يُقدَّم على أنه كلمات وُضِعت في فمٍ وأُلقيت كإرشادٍ مُلزم. هذا هو الشكل الموسوي النبوي.

"ثم يُعطى الكتاب لمن لا يقرأ ويقول: اقرأ هذا. فيقول: أنا لا أقرأ" (إشعياء 29:12).

الأمر واضح لا لبس فيه: يحتوي الكتاب المقدس على مشاهد تُنقل فيها الوحي إلى شخص خارج نطاق السلطة العلمية التقليدية. ففي التصور الكتابي، تستند السلطة النبوية إلى فعل الوحي الإلهي لا إلى الاعتماد المؤسسي.

"اسجدوا للرب إلهكم، واعبدوه وحده" (متى 4:10)

"فحينئذ أقول لهم: لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم." (متى 7:23)

لذلك، يجب تقييم أي مدعٍ لاحق يقدم نفسه في شكل نبوي (كلمات منقولة؛ توجيهات ملزمة) ليس بناءً على ما إذا كان يتملق الوضع المؤسسي الراهن،

بناءً على ذلك، يحق للقارئ أن يتساءل عما إذا كان الكتاب المقدس نفسه يتضمن أي مجال لإرشادات لاحقة تحمل في طياتها شريعة بعد الانقطاع. يُستخدم سفر دانيال هنا ليس كدليل لتحديد التواريخ الحديثة، بل لأنه يتحدث بلغة التاريخ، والتغيير، والآفاق. فهو يتيح لنا مناقشة الاستمرارية بعد الانقطاع دون التظاهر بأن الانقطاع لم يحدث قط.

دانيال وتوقيت الاستمرارية

"وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماء مملكة لا تنقرض أبداً، ولا تُترك لغيرها من الشعوب، بل تسحق وتفني كل هذه الممالك، وتثبت إلى الأبد." (دانيال 2:44)

"أُعطي له سلطان ومجد وملكوت، لكي تخدمه كل الشعوب والأمم والألسنة؛ سلطانه سلطان أبدي" (دانيال 7:14).

وفي وقت لاحق، يصف سفر دانيال 7 تحولاً حاسماً تنتقل فيه السيادة إلى "قديسي العلي". وتدور اللغة هنا مجدداً حول الهبة والتكليف بدلاً من البناء البشري: "ويُعطى الملك والسلطان وعظمة الملكوت تحت كل السماء لشعب قديسي العلي، ملكوتهم ملكوت أبدي، وكل السلطات تخدمه وتطيعه." (دانيال 7:27)

يستخدم دانيال لاحقًا نفس لغة النقل بشكل صريح، واصفًا السيادة بأنها شيء "معطى" ومخصص في النهاية بموجب السيادة الإلهية (دانيال 7:27).

"سيجعل الذبيحة والتقدمة منتهية" (دانيال 9:27)

الأزمة النصية باستخدام فئات الكتاب المقدس نفسها: التوجيه، والطاعة، والعبادة الحصرية، والانتقال من خلال الثمار، والاستمرارية من خلال الانقطاع.

لا يقتصر السؤال الذي طُرح بعد الهيكل على "اليهودية مقابل المسيحية مقابل الإسلام"، بل يظهر أيضًا في الحركة المسيحية الأولى نفسها. يحفظ العهد الجديد أدلةً على أن الأجيال الأولى من المؤمنين لم تكن متفقةً على القضايا الأكثر أهميةً هنا: الشريعة، وشمول الأمم، وهوية العهد، وما يتطلبه استمرار التواصل مع أسفار إسرائيل المقدسة. يتعامل السجل مع هذه القضايا باعتبارها أسئلةً حاسمة، لا مجرد أفكارٍ لاحقةٍ محسومة. يصف سفر أعمال الرسل خلافًا كبيرًا حول ما إذا كان المؤمنون من الأمم يُختنون عادةً ويُطلب منهم الالتزام بالشريعة (أعمال الرسل ١٥: ١-٢). تعكس رسائل بولس الصراع نفسه بعباراتٍ أكثر وضوحًا، لا سيما في رسالة غلاطية. هذا التنوع مهمٌ للمنهج، فهو يمنع المفارقة التاريخية، ويُظهر أن "ما قصده يسوع" لم يكن واضحًا تلقائيًا لجميع المسيحيين الأوائل، وأن نماذج الاستمرارية المتنافسة كانت موضع نقاشٍ في الفترة الأولى. في ذلك السياق - التوسع في العالم غير اليهودي مع اقتراب الكارثة التي ستقضي قريبًا على صلاحية الهيكل - ليس من المستغرب ظهور آليات مختلفة لما بعد الهيكل. لهذا السبب، تُعامل تعاليم يسوع المحفوظة هنا كنقطة مرجعية مفيدة، بدلًا من افتراض أن التسويات العقائدية اللاحقة تعكس تلقائيًا نيته. يؤكد يسوع علنًا على الشريعة (متى 5: 17-18)، ويعتبر الخروج عن الشريعة والتدين الفارغ سببًا للاستبعاد (متى 7: 21-23).

لا تُحسم هذه التصريحات كل نقاش لاحق، لكنها تُرسّخ موقفًا: جدية في الطاعة وريبة تجاه الادعاءات الدينية التي تُحوّل الحياة العهدية إلى مجرد مسميات هوية. ويقود هذا الموقف بشكل طبيعي إلى المعايير الكتابية لتقييم المُدّعين اللاحقين. فالكتاب المقدس لا يُعامل السلطة على أنها مُحصّنة من الاختبار؛ بل يُقدّم اختبارات.

دانيال من جديد: الزمن والانتقال

عند قراءة سفر دانيال بالتزامن مع سفر إشعياء وقصة تمزق الهيكل، لا تنضب قوته بالرمزية المجردة. يقدم دانيال شيئًا لم يُشدد عليه إشعياء بشكل مباشر: التحول المرتبط بالزمن. ليس فقط أن الإدارة ستتغير، بل إن التاريخ نفسه سيتجه نحو نقطة تصبح فيها آليات العهد القديمة غير قابلة للتطبيق، ويحل محلها شيء دائم. يضع دانيال 2 القواعد الأساسية. تنهض ممالك متعاقبة وتسقط حتى يتدخل تدخل نهائي يقطع التسلسل برمته: «حجر مقطوع بغير يدين» يضرب التمثال، فيحطم بنيته المركبة، وبعد ذلك «لم يُعثر لهم على أثر»، ويصبح الحجر.

"جبل عظيم وملأ الأرض كلها" (دانيال 2: 34-35)

لا يكمن التركيز على الإصلاح الداخلي، بل على الاستبدال بمبادرة إلهية. فالمملكة التي يقيمها الله لا تتعايش إلى الأبد مع النظام السابق، بل تتجاوزه وتدوم.

"أن تخدمه جميع الشعوب والأمم والألسنة" (دانيال 7:14)

"سيأخذ قديسو العلي الملكوت" (دانيال 7:18)

"ويُعطى الملك والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء لشعب قديسي العلي، الذي ملكوته ملكوت أبدي، وكل السلطات تخدمه وتطيعه." (دانيال 7:27)

هذا الأمر مهم لأنه يتوافق بشكل مباشر مع لغة يسوع نفسه في نقل الملكية:

"شعب الأمير الآتي سيدمر المدينة والمقدس" (دانيال 9:26)

"سيُبطل الذبيحة والتقدمة" (دانيال 9:27)

"إن الدم هو الذي يكفر عن النفس" (لاويين 17:11)

إذا انقطعت التضحية في التاريخ - لا رمزياً، بل فعلياً - فلن يُمكن الحفاظ على الاستمرارية بمجرد التأكيد. إما أن يترك الله البشرية دون سبيل عملي للطاعة والعبادة، أو أن تُصاغ الهداية بشكل لا يعتمد على هيكل مُدمّر. يُقدّم دانيال هذا على أنه دينونة مُتوقعة يتبعها عمل إلهي. الادعاء الأقوى تراكمي: فالكتاب المقدس يتوقع مرحلة حاسمة بعد الهيكل تتسم بالانقطاع، والانتقال، وشكل من أشكال حكم الله يواجه الأمم. إذا انقطعت التضحية، وإذا انتقلت الوكالة، وإذا كان لا بد من أن تبقى الهداية عامة وقابلة للتطبيق، فإن المسألة ليست ما إذا كانت الهداية اللاحقة ممكنة، بل كيف يُمكن التعرّف عليها. وهنا تحديداً تكمن أهمية التصنيفات السابقة. السلطة النبوية، بالمعنى التثنوي، هي كلام مُبلّغ.

يؤكد يسوع على الشريعة، ويحذر من الخروج عنها، ويتحدث عن الخداع المستقبلي والتمييز من خلال الثمار (متى 7: 15-23). وهو لا يدّعي إلغاء الشريعة (متى 5: 17)، ولا يُعرّف نفسه بأنه مُشرّع الأمم الذي تنبأ به دانيال وإشعياء. لذلك، لا يمكن اعتبار نبوءة دانيال "مُتحققة" دون توضيح كيف أن تدمير الهيكل يُبقي على مسار العهد قائمًا.

بهذا المنظور، لا يُدافع دانيال عن الإسلام بمعزل عن غيره، بل يُثير مسألة الاستمرارية. فاليهودية تحافظ على الهوية والتقوى في ظل الحرمان، بينما تُؤسس المسيحية البولسية آلية بديلة تتمحور حول لاهوت الكفارة المُعبَّر عنه في رسائل الرسل. في المقابل، يدّعي الإسلام الاستعادة: الوحي المُوحى به، والعبادة المتنقلة، وإطار قانوني-أخلاقي يعمل دون الحاجة إلى حرمة - وهو تحديدًا نوع الحل الذي يتطلبه أفق ما بعد الهيكل إن لم يتخلَّ الله عن الهداية. إذن، لا تكمن أهمية دانيال في ذكره اسم محمد صراحةً، بل في جعله فكرة الاستعادة اللاحقة والدائمة التي تواجه الأمم ليست ممكنة فحسب، بل متوقعة بنيويًا. عندما يُقرأ دانيال جنبًا إلى جنب مع أفق إشعياء المناهض للوثنية ولغة يسوع في نقل الوكالة، يصبح من الصعب اعتبار هذا التقارب مجرد صدفة. ما يبدو في البداية تفسيرًا مُختلفًا عليه، يبدأ في الظهور كنمط متكرر.

الإسلام بتعريفه الخاص: الإصلاح، والسلطة، والاستمرارية

هنا، يجب على النقاش أن يُعرّف الإسلام كما يُعرّف نفسه، قبل تقييم مدى توافقه مع مفهوم ما بعد الهيكل، وهو ما يغفل عنه الكثير من الحوارات. ليس هذا من باب المجاملة، بل هو ضروري للدقة. من المفاهيم الخاطئة الشائعة في النقاش المسيحي الإسلامي أن الإسلام "مبني" على الكتاب المقدس بمعنى اعتبار التوراة والعهد الجديد مرجعين مُلزمين. هذا غير صحيح. يُستخدم الكتاب المقدس هنا كسياق تمهيدي، لأن المقال يبحث فيما إذا كان العالم التوراتي يتوقع أفقًا أوسع للهداية بعد انفصال الهيكل، لكن المرجع الفعلي للإسلام هو القرآن والسنة النبوية. هذا التمييز جوهري لأن مشكلة ما بعد الهيكل هي مشكلة تطبيقية: يجب أن يمتلك الدين آلية فعّالة للعبادة والشريعة قابلة للتطبيق العملي بعد عام 70 ميلاديًا. ويؤكد الإسلام أنه يمتلكها.

لا يقتصر جوهر الإسلام على تقديم العبادة لله فحسب، بل يتعداه إلى تقديم نفسه كإحياء للدين النبوي كمنهج كامل للعبادة والطاعة. ويُقدّم القرآن الكريم نفسه مرارًا وتكرارًا على أنه وحي إلهي لا تأليف شخصي، وخطاب عام لا تأملات لاهوتية خاصة. ويُصاغ النص على هيئة تلاوة.

وينفي ذلك أن الرسول يتحدث عن العقيدة الدينية بدافع الرغبة:

وببساطة، فإن أسلوبها هو الكلام المنقول - الكلمات التي تُعطى وتُتلى وتُعلن علنًا - وهو ما يتوافق مع الفئة الكتابية للسلطة النبوية:

هذا يدل على التماسك الهيكلي.

"إلى الشريعة وإلى الشهادة! إن لم يتكلموا بحسب هذا الكلام، فذلك لأنهم لا يملكون فجراً" (إشعياء 8:20).

أي أن الهداية الحقيقية تُقاس بالوفاء بالتوحيد والطاعة، لا بالكاريزما أو الإرث المؤسسي. يقدم الإسلام نفسه كمعيار يوضح الحق ويفصله عن الانحراف في العبادة والعقيدة، داعيًا الناس للعودة إلى إله إبراهيم دون تشتت في الإخلاص، بما يتوافق مع تأكيد التوراة.

وحفظ يسوع للعبادة الحصرية،

تتضح أهمية ما بعد الهيكل عندما تُذكر السلطة بوضوح. فبعد عام 70 ميلاديًا، لم يعد النظام القائم على المعبد قابلاً للتطبيق الكامل كما هو منصوص عليه. ولكي يكون أي ادعاء بإعادة النظام قائمًا على ثلاثة أمور على الأقل، لا مجرد كلام، يجب أن يحققها: أولًا، إعادة

تركيز العبادة على الله وحده؛ ثانيًا، توفير نظام شريعة وعبادة عملي لا يعتمد على مذبح مادي؛ ثالثًا، توفير بنية سلطة مستقرة لا تعتمد على إعادة بناء آلية غير فعالة من خلال استبدالها بشكل افتراضي. ويؤكد الإسلام على هذه الأمور الثلاثة. فهو يُشدد على التوحيد المطلق، ويرفض عبادة أي إله غير الله، ويُرسخ حياة عبادة متنقلة: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والتوبة، ونظام أخلاقي وقانوني شامل. وبناءً على ذلك، يُشكل القرآن والسنة مركز العمل لما بعد الهيكل. وهنا تبرز الحاجة إلى توضيح الأمر للقراء الذين تأثروا بالمفاهيم المسيحية حول الكتاب المقدس. لا ينكر الإسلام أن الله أنزل التوراة أو أن عيسى نبي ومسيح، ولكنه ينفي إمكانية تجاهل مسائل الحفظ والسلطة. فالكتاب المقدس نفسه يتضمن تحذيرات من الانحراف وضرورة التمييز، ولا يُصوّر تاريخ العهد على أنه بمنأى عن التحريف البشري. وكثيراً ما يكون الشكوى النبوية هي أن الناس

"لذلك قال الرب: لأن هذا الشعب يقترب مني بفمه، ويكرمني بشفتيه، أما قلبه فقد أبعدني عني، وخوفهم مني هو تعليم من الناس." (إشعياء 29:13)

وتصبح تلك الديانة مُثقلة بالإضافات البشرية. ويزعم الإسلام أنه يُعيد العبادة إلى أصولها الإبراهيمية، ويُعيد الهداية كمنهج حياة عملي، وهو تحديدًا نوع "المحرك" الذي يحتاجه عالم ما بعد الهيكل إذا استمرت رحمة الله في الهداية.

ادعاء محمد وطريقة الوحي: الإعلان العلني والخطاب المنطوق

إذا أُخذت القطيعة التي أعقبت بناء الهيكل على محمل الجد، فإن مسألة "رسول آخر" ليست مجرد قفزة عاطفية، بل هي بحث بنيوي. فآلية التوراة التي تتمحور حول المذبح مكتوبة، ومع ذلك، بعد عام 70 ميلاديًا، لم تعد قابلة للتطبيق كما هو منصوص عليه. إذا كان نمط الله هو الهداية لا التخلي...

إذن، فإن إمكانية تجديد الهداية ليست غريبة على الكتاب المقدس. ويصبح السؤال: ما نوع الرسول الذي يمكن أن يؤدي دور استمرار الدين النبوي بعد الانفصال؟ ليس مجرد فيلسوف، بل ناقل لهداية ملزمة، يكون نتاجها عبادة وشريعة قابلة للتطبيق، قابلة للتداول عبر الأراضي، وموجهة إلى إله إبراهيم وحده.

إن ادعاء محمد، وفقًا لتعريف الإسلام لنفسه، هو من هذا النوع تحديدًا. فهو لا يُقدّم نفسه كمؤلفٍ يُشيّد نظامًا نابعًا من عبقريته الشخصية، بل يُقدّم نفسه كرسولٍ يستقبل الكلام ويُبلّغه. فبلاغة القرآن ليست "يفكر محمد"، بل هي "قل" - أي قواعد البلاغة. وتُحدّد النصوص الإسلامية الأساسية دوره كدور استقبال ونقل.

تلاوة:

ينفي القرآن صراحةً أن يكون محتواه نتاجاً للإبداع الديني الشخصي:

«ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» (القرآن 2:2)

يصف نفسه مرارًا وتكرارًا بأنه توضيح ومعيار - وهو ما يُعرف في المصطلحات الإسلامية اللاحقة باسم الفرقان - بحيث لا يكون التوجيه مُلهمًا فحسب، بل مُميزًا أيضًا: فهو يفصل بين العبادة الحقيقية والانحراف والتفاني الزائف. هذا النمط مهمٌ من الناحية البنيوية في أي نقاش ما بعد الهيكل. إن نموذج السلطة النبوية في الكتاب المقدس العبري ليس في المقام الأول تفسيرًا أكاديميًا، بل هو خطاب مُبلَّغ وتعليم مُلزم.

لا تكمن الأهمية في ضرورة اعتناق الإسلام لرؤية هذا التشابه، بل في أن الوحي، في التصور التوراتي، غالبًا ما يأتي على هيئة كلمات تُنقل من فم إلى قوم؛ وبعد انقطاع يُعطّل الآليات المؤسسية القديمة، يصبح الاستمرار الذي يُقدّم نفسه كتعليم مُبلّغ مفهومًا بنيويًا باعتباره "نبويًا" في شكله. كما أن دعوة محمد صريحة في توجهها وهدفها، فهي دعوة إبراهيمية. فالإسلام لا يدّعي اختراع إله جديد أو تحويل العبادة إلى إله قبلي، بل يدّعي إعادة عبادة الإله المعروف في الذاكرة التوراتية: الخالق، إله إبراهيم، الإله الذي يُحاسب على الوثنية ويدعو البشرية إلى التوبة. ويُؤطّر القرآن دعوته على أنها امتداد للدعوة النبوية: عبادة الله وحده، ونبذ الأصنام، والبر كطاعة حية. وهذا يتوافق مع الأساس التوراتي القائل بأن جدية عهد الله لا تكمن في مجرد الهوية، بل في الطاعة.

"فأحفظوا فرائضي وأحكامي، ومن عمل بها يحيا بها. أنا الرب." (لاويين 18: 5)

وبإصرار نبوي على أن التوبة والرجوع هما باب العودة إلى الله، يقول إشعياء:

"ليترك الشرير طريقه، وليترك الرجل الظالم أفكاره، وليرجع إلى الرب فيرحمه، وإلى إلهنا لأنه يغفر كثيراً." (إشعياء 55:7)

"اذهبوا وتعلموا ما معنى هذا: أريد رحمة لا ذبيحة، لأني لم آتِ لأدعو الأبرار بل الخطاة إلى التوبة." (متى 9:13)

وتحذيره من أن

التدين بدون طاعة هو فراغ.

يُساعد توضيحٌ أساسي في حماية المقال من سوء الفهم. فالقول بأن الإسلام "قابل للتطبيق بعد الهيكل" لا يعني بطلان اليهودية أو زيف المسيحية، بل هو إشارة إلى اختلاف بنيوي. تحافظ اليهودية الربانية على هوية التوراة بأمانة في المنفى دون الادعاء باستبدالها. أما المسيحية - وخاصةً في صورتها البولسية السائدة - فتُعالج هذا الانفصال بإعادة تركيز الكفارة على الصلب، مُحوّلةً بذلك منطق المذبح إلى حدث خلاصي واحد ونهائي. بينما يدّعي الإسلام الاستعادة: مركز سلطة نبوية مُتجدد (القرآن والسنة) يُعيد العبادة التوحيدية والشريعة كمنهج حياة كامل وعملي دون الاعتماد على نظام الهيكل. وهنا أيضًا، من المناسب التأكيد بوضوح على أن علاقة الإسلام بالكتب المقدسة السابقة ليست علاقة تبعية قانونية. فالمسلمون لا يُعاملون التوراة أو العهد الجديد كشريعة مُلزمة. تم الاستشهاد بها هنا لأن الحجة يتم اختبارها داخل العالم الكتابي المعروف بالفعل، ولأن تعاليم يسوع المحفوظة تعمل كنقطة مرجعية مفيدة لمزاعم الاستمرارية.

الفرقان كمعيار: لماذا يُصوّر الإسلام نفسه على أنه تصحيح لا اختراع؟

إذا كان انشقاق الهيكل هو المحرك التاريخي لهذا الجدل، فإن الفرقان يمثل المحور المفاهيمي لتأكيد الإسلام على هويته. لا يُقدّم الإسلام نفسه على أنه "فكرة دينية جديدة" تتنافس على مكانة في السوق، بل يُقدّم نفسه كمعيار - فاصل موثوق بين التوحيد الإبراهيمي الأصيل والانحراف اللاحق. في الإطار التوراتي، لا يُعدّ هذا مفهومًا غريبًا. فالنصوص المقدسة تفترض أن المجتمعات قد تنحرف مع الحفاظ على لغتها الدينية، وتدعو مرارًا وتكرارًا إلى التمييز والرجوع. وقد انتقد إشعياء هذه الظاهرة بشكل مباشر.

يحذر إشعياء من أن التدين العلني يمكن أن يصبح مجرد كلام فارغ بينما ينجرف القلب، وأن الخوف من الله يمكن اختزاله إلى مجرد تقاليد بشرية (إشعياء 29:13).

لم يكن الأنبياء مجرد رواة قصص، بل كانوا مصححين يواجهون الانحراف في العبادة والطاعة، ويعيدون جوهر العهد. ويدّعي الإسلام أنه يؤدي نفس الدور التصحيحي، ولكن مع اختلاف جوهري بعد الهيكل: فهو لا يدّعي النقد فحسب، بل يدّعي تقديم توجيهات متجددة وعملية وقابلة للتطبيق.

العبادة والشريعة – من خلال الوحي المنقول. ويُصاغ القرآن أسلوبه الخاص على أنه خطاب مُتلى وليس بناءً لاهوتيًا فرديًا.

وينفي ذلك أن يكون مذهب الرسول نابعاً من رغبة شخصية:

في منهج المقال، هذا الأمر مهم لأن فئة الأنبياء في سفر التثنية هي

لا يُقدَّم القرآن على أنه تأملات بشرية عن الله، بل يُقدَّم ككلمات أُلقيت في خطاب علني. وتتجلى هذه الوظيفة المعيارية بوضوح فيما يدّعي الإسلام تصحيحه. وهذه التصحيحات ليست عشوائية، بل تستهدف تحديدًا الفئات التي يعتبرها الكتاب المقدس حاسمة. أولًا: حدود العبادة. فالأمر الأساسي في التوراة هو الإخلاص التام لله.

ويؤكد يسوع على نفس الحدود في حديث مباشر:

«اغتسلوا، تطهروا، أزيلوا شر أعمالكم من أمام عيني، كفوا عن فعل الشر، تعلموا فعل الخير، اطلبوا العدل، أنصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، دافعوا عن الأرملة.» (إشعياء 1: 16-17)

يُعرّف يسوع الأصالة بنفس الطريقة:

ويحذر من

"الخروج عن القانون" (متى 7:23)

يدّعي الإسلام أنه يُعيد إحياء دينٍ محوره الطاعة، تُبنى فيه الحياة العامة على العبادة والشريعة، بدلاً من نظامٍ يُصبح فيه مركز ثقله آلية استبدال تجعل الإطار القانوني للتوراة عتيقاً عملياً. ثالثاً: مسألة السلطة بعد الانقطاع. لا تُحلّ أزمة ما بعد الهيكل بالعاطفة، بل تُحلّ بوجود مركز سلطة قادر على إدارة العبادة والشريعة بشكل فعّال. ويؤكد الإسلام ذلك بوضوح: فالقرآن والسنة النبوية هما المرجع الأساسي

للعبادة والشريعة في آخر الزمان. في هذه الدراسة، تُستخدم النصوص التوراتية كسياق مقارن لمشكلة الاستمرارية، لا كأساسٍ قانوني للإسلام.

"هلموا نتحاجج معاً" (إشعياء 1:18)

المشاركة الواعية: التناقضات السردية التي تعمل كتصحيحات

يظهر نمط متكرر: يتناول القرآن الكريم أحداثًا توراتية مألوفة مع تنقيح بعض جوانبها. هذه التنقيحات ليست عشوائية، بل تخدم ثلاثة أهداف رئيسية: (1) تجلّي عظمة الله وحقه الحصري في العبادة؛ (2) كرامة النبوة ووضوحها الأخلاقي؛ (3) دينٌ يتمحور حول التوبة والطاعة والمساءلة المباشرة. الأمثلة الواردة أدناه توضيحية وليست شاملة، وهي مهمة لأطروحة المقال لأنها تُبيّن كيف يبدو "الفرقان" في مضمونه: تصحيح الانحراف مع الحفاظ على جوهر النبوة.

يد موسى: من البلاء إلى الآية الخالية من الضرر

موسى:

"وقال له الرب أيضاً: ضع يدك في جيبك. فوضع يده في جيبه، ولما أخرجها إذا بيده برصاء كالثلج." (خروج 4:6)

فقال: «أعد يدك إلى جيبك». فأعاد يده إلى جيبه، ثم أخرجها منه، فإذا هي قد عادت إلى حالتها الطبيعية كباقي جسده. (خروج 4: 7)

في القرآن الكريم، حُفظت الآية نفسها كمعجزة من معجزات الإشراق، ولكن بصيغة صريحة تؤكد «البياض من غير سوء»: «وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ» (القرآن 20:22؛ انظر أيضًا 27:12؛ 28:32). لم تتغير وظيفتها—فهي آية علنية لفرعون—لكن إعادة الصياغة تُزيل الإيحاء بأن الله يُهين رسوله بالنجاسة لحظة تكليفه. يُحافظ هذا التعديل على كرامة النبوة مع الحفاظ على دور الآية كدليل.

هارون والعجل: من تأليف عبادة الأصنام إلى مقاومتها

"فأخذها من أيديهم، وصنعها بأداة نقش، بعد أن جعلها عجلاً مسبوكاً: فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر." (خروج 32:4)

"ولما رآه هارون بنى أمامه مذبحاً، ونادى هارون قائلاً: غداً عيد للرب." (خروج 32: 5)

يروي القرآن الكريم قصة هارون وهو يحذر الناس ويقاوم عبادة الأصنام، ثم يوضح لموسى أنه خشي الانقسام فغلبه (القرآن ٢٠: ٩٠-٩٤؛ ٧: ١٥٠-١٥١). لا ينكر القرآن وقوع المصيبة، بل ينفي أن يكون نبي كبير قد تسبب بها. ويتوافق هذا النفي مع جوهر ما جاء في القرآن عن النبوة: فالأنبياء يدعون إلى التوحيد، ولا يشرعون الشرك.

سليمان: من الانهيار الوثني إلى التبرئة الصريحة

"لأنه لما شاخ سليمان، مالت نساؤه قلبه إلى آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كما كان قلب داود أبيه." (١ ملوك ١١: ٤)

"ثم بنى سليمان مرتفعاً لكموش، رجس موآب، على التل الذي أمام أورشليم، ولمولك، رجس بني عمون." (١ ملوك ١١: ٧)

ينفي القرآن الكريم صراحةً أن يكون سليمان قد وقع في الكفر: «وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (القرآن 2:102). ومرة أخرى، تكمن المسألة في البنية: فالقرآن الكريم يرفض باستمرار تصوير النبوة على أنها انحدار إلى عبادة الأصنام. إنه يقدم القيادة النبوية كعلامة من علامات الله، وليس كوسيلة لفضيحة تعدد الآلهة.

تضحية إبراهيم: من اختبار ضمني إلى خضوع واعٍ

"ها هي النار والحطب، فأين الخروف الذي يُقدّم كمحرقة؟" (تكوين 22:7)

يعيد القرآن الكريم سرد المشهد مع الابن الذي أُخبر ووافق على الخضوع: «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ» (القرآن 37:102؛ انظر 37:103-107). هذا التغيير ليس شكليًا، بل هو توضيح لمفهوم الإسلام للدين بأنه الخضوع الذي جسّده إبراهيم وأهل بيته.

مجموعة: من الخزي الجنسي إلى الوضوح الأخلاقي النبوي

يصور سفر التكوين بنات لوط وهنّ يُسقينه الخمر ويرتكبن الزنا (تكوين ١٩: ٣٠-٣٨). أما القرآن الكريم فيُغفل هذه الفضيحة، ويُصوّر لوط باستمرار كشخصية صالحة تُنذر بالفساد الأخلاقي في مجتمعه (القرآن ١١: ٧٧-٨٣؛ ٢٦: ١٦٠-١٧٥). ويتوافق هذا الاختيار التحريري مع الفكرة الأساسية نفسها: فالشخصيات النبوية هي نماذج للهداية، ومحور القصة هو فساد المجتمع وتحذير النبي، وليس قصة مُهينة تُضعف المصداقية الأخلاقية.

لا تُثبت هذه المقارنات الإسلامَ في حد ذاتها؛ فوظيفتها أضيق من ذلك: إنها تُبيّن ما يعنيه القرآن في ادّعاء الفرقان. فهو يُقدّم نفسه كمعيارٍ يحفظ الأساس الإبراهيمي، ويُصحّح الانحراف، ويُعيد للنبيّ كرامته - وهو تحديدًا ذلك الموقف التصحيحي الذي يُتوقّع عند تجديد الهداية بعد انقطاعٍ مؤسسيّ.

حفظ الوحي: الجماعة، والسلطة، وبقاء الهداية

إنّ الادعاء بأنّ الإسلام يُمثّل إعادة بناءٍ لما بعد الهيكل يستلزم أيضًا التمعّن في كيفية حفظ الوحي عبر الزمن. فالمعيار لا معنى له إن لم يكن بالإمكان نقل التوجيهات التي يُوضّحها بشكلٍ موثوق. ولهذا السبب، فإنّ عرض القرآن لذاته لا ينفصل عن الآليات المجتمعية والبنيوية التي تُحفظ من خلالها. عند دراسة هذه النماذج مقارنةً ببعضها، تبرز ثلاثة نماذج مختلفة: حفظ إسرائيل للتوراة، ونقل المسيحية للعهد الجديد، وحفظ الإسلام للقرآن والسنة النبوية. ولا تقتصر هذه الاختلافات على الجوانب اللاهوتية فحسب، بل هي بنيوية أيضًا، وتُحدّد كيف يُمكن لكلّ مجتمع أن يتجاوز الانقطاعات التاريخية.

في حالة إسرائيل، يُعدّ الحفاظ على الكتاب المقدس جزءًا لا يتجزأ من الهوية الشعبية والنسب والشريعة. تُحفظ التوراة من خلال مجتمعٍ مترابطٍ بعهدٍ يجمعه استمرارية عرقية، وممارسة شعائر دينية، ونقل شرعي. بعد تدمير الهيكلين الأول والثاني، نجحت اليهودية الربانية في إعادة توجيه الحياة الدينية نحو الدراسة والصلاة والاستدلال الشرعي. يُعدّ هذا التكيف إنجازًا تاريخيًا بارزًا ويستحق التقدير: فقد حافظت اليهودية على التوحيد والكتاب المقدس دون الحاجة إلى معبد أو كهنوت أو ذبائح.

نشأت المسيحية في ظل ظروف مختلفة. فالعهد الجديد ليس وحيًا واحدًا مُتلى، بل هو مجموعة من الكتابات التي أُنتجت على مدى عقود: الأناجيل، والرسائل، والخطب، والتأملات اللاهوتية. وقد حُفظت هذه النصوص من خلال الجماعات لا من خلال آلية حفظ واحدة، وتطورت السلطة بمرور الوقت عبر الهياكل الكنسية، والمجامع، والتقاليد التفسيرية. يُمكّن هذا النموذج من الانتشار العالمي، ولكنه يُنتج أيضًا تعددية عقائدية، إذ تعتمد الوحدة بشكل كبير على التنسيق اللاهوتي اللاحق بدلًا من الاعتماد على مجموعة واحدة مُتلى ونمط موحد ومحفوظ لقوانين العبادة.

يقدم الإسلام نموذجًا ثالثًا. فالقرآن الكريم يدّعي أنه وحيٌ مُنزلٌ علنًا، حُفظ جماعيًا، وحُفظ عبر التناقل الجماعي. ولا يعتمد حفظه على النسب أو الكهنوت أو المجامع اللاحقة، بل على مجتمع حيّ يتلو النص نفسه باللغة نفسها عبر الجغرافيا والأجيال. ويصوّر القرآن الكريم هذا الحفظ على أنه مقصود.

يشمل التاريخ الإسلامي الصراع والخلاف، وتتضمن الدراسات الإسلامية نقاشات حقيقية، بما في ذلك جدالات دقيقة حول تصنيف الأحاديث واستدلالاتها الفقهية. لكن الادعاء هنا أضيق نطاقًا: أن النص القرآني المُتلى ونمط العبادة المشترك المُستند إليه قد حُفظا بثبات استثنائي عبر الجغرافيا والأجيال.

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (القرآن 15:9)

الأهم من ذلك، أن هذه التلاوة المحفوظة تقترن بالسنة النبوية - أي تعاليم النبي العلنية وعبادته العملية - التي تُعدّ بمثابة التفسير العملي للوحي. يشكل القرآن والسنة معًا نظامًا متكاملًا للعبادة والشريعة، سهل التطبيق، وعامًا، وقابلًا للتكرار دون الحاجة إلى مكان عبادة محدد. وبناءً على منطق هذه الدراسة، فإن الحفظ ليس أمرًا ثانويًا، بل هو جزء لا يتجزأ من اختبار الاستمرارية. فإذا أراد الله أن يستمر الهداية بعد الهيكل، فلا بد أن تكون هذه الهداية متاحة، ومقاومة للتجزئة، وقادرة على تنظيم العبادة والحياة الأخلاقية دون مركز ديني. إن ادعاء الإسلام بالحفظ يُلبي هذه المتطلبات بشكل مباشر.

لا يترتب على هذه النقطة ادعاءٌ منتصرٌ بأن جماعةً ما متفوقةٌ أخلاقياً على غيرها، بل هو ملاحظةٌ بنيويةٌ حول الشكل الذي يجب أن يكون عليه التوجيه بعد الانقطاع لكي يُؤدي دوره كاستمرارٍ حقيقيٍّ للدين النبوي. فإذا لم يعد النظام العبادي للهيكل فعالاً، وإذا كان من المُراد أن يبقى التوجيه متاحاً للأمم دون أن ينهار في سلطةٍ مُشتتة، فلا بد أن يكون الوحي قابلاً للنشر علناً، ومقاوماً للتفتت العقائدي، وقادراً على توليد حياةٍ عباديةٍ كاملةٍ دون الاعتماد على الكهنوت أو الحرم أو المذبح. هكذا يُؤطِّر الإسلام سلطته تحديداً: وحيٌ مُتلىٌ محفوظٌ مُقترنٌ بممارسةٍ نبويةٍ محفوظة.

القرآن والسنة: المصادر الفاعلة للهداية بعد بناء الهيكل

إذا لم يعد نظام التضحية في المعبد قابلاً للتشغيل، فيجب على أي دين إبراهيمي مستمر أن يحدد السلطة التي تحكم العبادة والطاعة، وكيف تظل تلك السلطة مستقرة عبر الأجيال والمناطق الجغرافية.

ينفي القرآن أن يكون محمد يقدم بناءً لاهوتياً شخصياً، ويصوغ رسالته على أنها خطاب مُلقى:

في هذا النموذج، لا تُوَجَّل السلطة إلى مجالس لاحقة، ولا تُدعَم باستبدالٍ تخميني لآليةٍ غير فعّالة. بل تُرسخ في المقام الأول في النصوص المقدسة التي تُتلى علنًا، وفي الممارسات النبوية التي تُلاحَظ علنًا - وهو تحديدًا نوع البنية التي يتطلبها استمرار ما بعد الهيكل.

أركان الإيمان الستة: النظرة العالمية الأساسية التي يعيدها الإسلام

لتجنب الالتباس الناتج عن الصور النمطية الحديثة، من المفيد توضيح مبادئ الإسلام الدينية بوضوح. فالإسلام ليس في المقام الأول هوية ثقافية أو برنامجًا سياسيًا، بل هو عقيدة وحياة عبادية تتمحور حول إله إبراهيم. ويُعدّ جوهر العقيدة الإسلامية الأركان الستة، التي تُشكّل الرؤية الكونية التي تُضفي معنىً على العبادة والشريعة الإسلامية.

يؤمن المسلمون بالله (الله)، والملائكة، والكتب السماوية، والرسل، واليوم الآخر، والقدر. هذه الالتزامات تضع الإسلام بقوة ضمن فئة التوحيد النبوي: يُعبد الله وحده؛ والأنبياء يرشدون الله ولا يحلون محله؛ والتوبة والطاعة أساسيتان؛ والحساب الأخير يضفي على العبادة والشريعة أهمية أخلاقية.

آدم والملائكة والمسؤولية الأخلاقية

«قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (القرآن 7:23)

يتوافق هذا مع تأكيد الكتاب المقدس المتكرر على المسؤولية الشخصية بدلاً من الإدانة الموروثة. كما أنه مهم لمسألة ما بعد الهيكل: يرفض الإسلام فكرة نقل الكفارة من هيكل مدمر إلى إعدام نبي. فالتوبة والطاعة ورحمة الله تبقى الوسائل التي تُغفر بها الذنوب، بما يتوافق مع تأكيد النبوة على العودة إلى الله.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (القرآن 66:6)

في هذا الرأي، يُعزى الشر إلى الفاعلين الأخلاقيين الذين يختارون العصيان، لا إلى خلل ميتافيزيقي وُجد عند الخلق. وهذا ما يجعل المساءلة شخصية والتوبة ذات معنى، بما يتماشى مع التركيز النبوي على العودة إلى الله بدلاً من الفساد الموروث.

الركائز الخمس: أداة عبادة متنقلة - نظام قانوني بعد الانفصال

إذا كانت المواد الست تمثل الرؤية الكونية، فإن أركان الإسلام الخمسة تمثل النموذج العملي. فهي تُظهر كيف يعمل الإسلام كحياة عبادة إبراهيمية كاملة دون الاعتماد على طقوس دينية محددة. ولا تقتصر هذه الأركان على الروحانية الفردية، بل هي توحيد متجسد يُمارس في الحياة العامة.

تُحدد الشهادة حدود العبادة: لا إله إلا الله، ومحمد رسول الله. وتُنظم الصلاة العبادة اليومية. وتربط الزكاة العبادة بالعدل. ويُشكل صيام رمضان ضبط النفس والتوبة. ويجمع الحجّ الناس حول ذكرى إبراهيم دون أن يجعل استمرار الدين مرتبطًا بآلية طقوسية واحدة.

يُمهد هذا لتعريف المقالة للثمرة. فإذا لم تكن الثمرة هي الإمبراطورية أو النجاح المادي، بل استعادة العبادة التوحيدية المتجسدة، فإن حياة العبادة التي تُنتج توبة وطاعة وتفانٍ يومي تصبح معيارًا ذا صلة.

مقارنة بين ثلاثة مسارات لما بعد التمزق لاستمرارية الأديان الإبراهيمية

مع تدمير الهيكل وتوقف نظام المذبح عن العمل، لم ينقطع التقليد، بل أُعيد تنظيمه. والسؤال البنيوي المهم هو: ما نوع المحرك الديني الذي يمكنه أن يدعم التوحيد الإبراهيمي عندما لا يكون طقس المعبد متاحًا؟

إسماعيل، سيناء - سعير - فاران، والاختبار العلني للأدوار المستقبلية

بعد تحديد الأساس الذي وضعه يسوع، لا يكمن السؤال التالي في "أين تقع فاران على الخريطة الحديثة؟"، بل في ما إذا كان الكتاب المقدس نفسه يسمح بتوسيع نطاق التوجيه المستقبلي ليشمل أكثر من موقع واحد وسلالة واحدة، لا سيما عندما يجعل التاريخ الآلية القديمة غير قابلة للتطبيق. هنا يكمن دور أمة إسماعيل الموعودة وقصة ظهور الله في سيناء وسعير وفاران: ليس كدليل مباشر، بل كجزء من النص داخل عالم الكتاب المقدس، مما يجعل التوجيه المستمر للأمم مفهوماً لا غريباً.

ليس الهدف من هذه المقارنة الإساءة، بل التوضيح. فتدمير الهيكل يخلق أزمة استمرارية حتمية، وتختلف استجابة كل جهة لها. وتزعم المقالة أن نموذج إعادة بناء الإسلام يتماشى بشكل طبيعي مع النهج النبوي الأساسي: العبادة الخالصة، والتوبة، والطاعة، والإرشاد المنقول، والثمرة التي تُعرَّف بالعبادة لا بالإمبراطوريات.

موقف الإسلام من عيسى: تكريم المسيح دون تغيير مسار العبادة

يُفهم موقف الإسلام من عيسى عليه السلام على أفضل وجه باعتباره محاولةً لإبقائه ضمن الإطار النبوي الذي أرسته التوراة والأنبياء وتعاليم عيسى عليه السلام المحفوظة: عبادة الله الواحد الأحد، والتوبة، والطاعة. وهذا أمرٌ بالغ الأهمية لأن العديد من الاعتراضات المسيحية تفترض أن الإسلام "يرفض عيسى عليه السلام" بمعنى إهانته أو التقليل من شأنه. إلا أن موقف الإسلام مختلف، فهو يدّعي تكريم عيسى عليه السلام بشكلٍ أكثر اتساقًا برفضه تحويل نبيٍّ إلى معبود، وبالحفاظ على حدود العبادة التي يعتبرها الكتاب المقدس نفسه مطلقة. فالتوراة تُؤطِّر جوهر العهد على أنه التعبد الخالص.

«اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد:» (تثنية 6:4)

فقال له يسوع: اذهب من هنا يا شيطان، لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد. (متى 4:10)

إنّ حدود العبادة هذه ليست تفصيلاً ثانوياً، بل هي الاختبار الأول للدين النبوي. فإذا كان نقل الأمانة يُقاس بالثمار، فإنّ الثمرة الأساسية هي من يعبده الناس، ويدعون له، ويركعون له. وفي هذا الإطار، يُقرّ الإسلام بأنّ عيسى عليه السلام هو المسيح والرسول، بينما ينفي إمكانية توجيه العبادة إليه. ويتعامل الإسلام مع الإخلاص على مستوى العبادة كمسألةٍ ذات محصلة صفرية: فالمحبة والتوقير والطاعة للنبي قد تكون أعمالاً صالحة، لكنّ العبادة لله وحده. وهذا التمييز ليس دخيلاً على الإسلام. فالوصية الأولى في التوراة ليست "توقير الله أولاً"، بل هي حصرية. وكذلك لغة عيسى عليه السلام المحفوظة حصرية للعبادة. ولهذا السبب، يقاوم الإسلام التطورات اللاهوتية التي تُطمس حدود العبادة بتوجيه الصلاة والدعاء والتوكل المطلق نحو المخلوقات.

إذا تم تعريف "الثمرة" على أنها عبادة توحيدية مستعادة بدلاً من النجاح الإمبراطوري، فإن مكانة الإسلام تجاه يسوع تعمل كجزء من تلك الثمرة: الحفاظ على الإخلاص الحصري لإله إبراهيم مع تكريم يسوع كخادم ورسول حقيقي ضمن نفس الفئة النبوية.

يؤكد الإسلام أيضًا على أن عيسى المسيح هو المسيح المنتظر، دون أن يعتبر "المسيح" مرادفًا لـ"الله". ففي سياق الكتاب المقدس، يمكن استخدام مصطلح "الممسوح" لوصف رسل الله المختارين دون دمج الخالق والمخلوق في فئة واحدة. ويؤكد الإسلام أن دور عيسى المسيحاني محدد برسالته: فهو مختار من الله ومؤيد له، ولكنه يبقى عبدًا له. وهذا ما يحافظ على بساطة النظام التوحيدي واستمراريته مع الحد الأول للعهد: الله واحد لا شريك له، وليس بشرًا؛ رسله مُكرمون لا يُعبدون.

لا يقتصر هذا الموقف الجوهري على مجرد ترتيب عقائدي، بل يكتسب أهمية هيكلية بعد انشقاق الهيكل. فالأزمة التي أعقبت الهيكل تُثير تساؤلاً حول كيفية استمرار الأديان الإبراهيمية بشكل فعّال. ويزعم الإسلام أن الله يُعيد الدين النبوي كأداة عبادة وشريعة متنقلة من خلال

الوحي، ويؤكد أن تكريم عيسى عليه السلام على الوجه الصحيح يعني الحفاظ عليه ضمن سياق النبوة، لا تحويله إلى معبود جديد أو محور لآلية بديلة.

يختلف الإسلام عن العقيدة المسيحية اللاحقة في نقطة حاسمة واحدة: لم يمت عيسى عليه السلام صلباً. لا يُقدّم القرآن الكريم هذه المعلومة كتفصيل هامشي، بل كتصحيح لفهم نهاية رسالة عيسى عليه السلام لاحقاً. لا يُقصد بذلك التقليل من شأن عيسى عليه السلام، بل التأكيد على أن الله لم يتخلَّ عن نبيٍّ ليُترك للذل والهزيمة على يد أعدائه.

«وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» (القرآن 157:4-158).

في الرواية الإسلامية، يُبرأ عيسى عليه السلام بدلاً من أن يُضحى به. وهذا يحافظ على نمط نبوي كان واضحاً في الكتب المقدسة السابقة، حيث يُنجي الله رسله ويحاسب أعداءهم، بدلاً من تحويل إعدام الرسول إلى مذبح جديد للتكفير.

تحديد الدور العام كتوقع كتابي

(إيليا/يوحنا في سياق الحديث فقط) يُظهر العهد الجديد نفسه أن الناس كانوا يتوقعون تحديد الأدوار المستقبلية علنًا ومناقشتها ضمن فئات معروفة. فعندما سُئل يوحنا المعمدان، وُجهت إليه أسئلة متعددة حول دوره، مثل: "هل أنت المسيح؟" و"هل أنت إيليا؟"

"هل أنت النبي؟" (يوحنا 1: 19-21)

«جاء الرب من سيناء، وأشرق من سعير إليهم، وأضاء من جبل فاران، وجاء مع عشرات الآلاف من القديسين، ومن يمينه خرجت شريعة نارية لهم.» (تثنية 33:2)

وعد إسماعيل: إمكانية التصديق، وليس خلاص النسب

"وأما إسماعيل، فقد سمعتُ لك: ها أنا قد باركته، وسأجعله مثمراً، وسأزيده كثيراً جداً؛ سينجب اثني عشر أميراً، وسأجعله أمة عظيمة." (تكوين 17:20)

ومرة أخرى،

"وسأجعل منه أمة أيضاً، لأنه من نسلك" (تكوين 21:13)

هذا ليس "خلاصًا بالنسب". إنه تاريخ العهد الذي يفسح المجال لأفق أوسع مرتبط بإبراهيم. في مرحلة ما بعد الهيكل

يسوع ومحمد في نفس الفئة النبوية: معيار أفضل

وهو يحفظ العبادة الموجهة إلى الله وحده:

إنه يُعرّف الدين الحقيقي بالطاعة والإخلاص لا بالشعارات:

ويحذر من أن الادعاءات الدينية يمكن رفضها عندما تقترن بالفوضى وانعدام القانون:

ينتقد النفاق بأسلوب نبوي.

وهو يُركّز على الأولويات الأخلاقية: الرحمة، والعدل، والتواضع أمام الله. وعندما يُقدَّم محمد كما يُعرِّفه الإسلام، يكون هذا الادعاء نبويًا أيضًا في هذا الجانب الجوهري: وحي مُنزل، وإعلان علني، ودعوة إلى عبادة إله إبراهيم وحده، وهدى مُلزم يُنظّم الطاعة الجماعية. إن تقديم القرآن لنفسه هو إعلان، وليس تأليفًا: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» (القرآن 96:1).

ويؤكد كذلك أن الخطاب ليس نتاج هوى شخصي: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (القرآن 53:3-4).

ومع ذلك، يرفض تحويل العبادة بعيدًا عن الله. هذا هو بالضبط الموقف الذي ينبغي أن يتوقعه القارئ من تقليد يُعرّف ثمرة الدين الحق بأنها استعادة العبادة التوحيدية الخالصة.

العبادة الإبراهيمية قبل أزمة ما بعد الهيكل: التعبد المباشر وممارسة العهد

"لأن حياة الجسد في الدم، وقد جعلته لكم على المذبح للتكفير عن نفوسكم" (لاويين 17:11).

«ما فائدة كثرة ذبائحكم لي؟ يقول الرب: لقد شبعت من محرقات الكباش وشحم البهائم المسمنة، ولا يسرني دم الثيران ولا الحملان ولا التيوس.» (إشعياء 1:11)

ثم تلاه دعوة إلى التوبة:

عاموس:

«أبغض أعيادكم وأحتقرها، ولن أشم رائحة اجتماعاتكم المهيبة. وإن قدمتم لي محرقات وتقدمات طعام، فلن أقبلها، ولن ألتفت إلى ذبائح السلامة من بهائمكم السمينة. أبعدوا عني ضجيج أغانيكم، فلن أسمع لحن قيثاراتكم. بل ليجرِ الحق كالمياه، والبر كالنهر الجارف.» (عاموس ٥: ٢١-٢٤)

يلخص هوشع ذلك في المبدأ الذي اقتبسه يسوع لاحقاً:

هذا هو التسلسل الهرمي للتوراة كما بشر به الأنبياء: الطقوس بدون توبة وطاعة فارغة.

لا تتحدث التوراة وكأن هذا السؤال غير ذي صلة. إنها تتعامل مع الطاعة كممارسة متجسدة.

الطاعة ليست مجرد شعور داخلي، بل هي امتثال فعلي. لذلك، عندما يصبح تطبيق الآلية المطبقة مستحيلاً، يصبح الاستمرار مسألة عملية. إما أن تحافظ الجماعة على هويتها مع إقرارها بالحرمان، أو تقترح آلية بديلة تفسيرية، أو تدعي وجود توجيه متجدد يعيد برنامجًا فعالًا للعبادة والشريعة. ينبغي على المستمعين أن يلاحظوا ما لم يفعله الكتاب المقدس. فالتوراة لا تُشرّع صراحةً آلية "مذبح بديل" دائم في حال تعذر الوصول إلى المذبح. وهي تحذر من الإضافة أو الحذف في بنود العهد (تثنية 4: 2)، وتصور مرارًا وتكرارًا أزمات إسرائيل على أنها لحظات تتطلب التوبة والعودة لا الاختراع العقائدي. يدعو الأنبياء الشعب للعودة إلى الله مباشرة.

لا تُقنّن هذه النصوص رسميًا بديلًا جديدًا للتضحية؛ بل تدعو إلى التوبة والرحمة والعدل والعبادة الخالصة. ولهذا السبب، يمكن وصف القطيعة التي أعقبت بناء الهيكل بأنها "انقطاع في الصلة" دون أن يعني ذلك زوال رحمة الله أو إمكانية الوصول إليه. فالصلة التي انقطعت هي الآلية المؤسسية لبعض الوصايا. أما الأساس الأعمق - وهو الإخلاص المباشر لله والتوبة والطاعة - فيبقى قائمًا. ويصبح السؤال هو كيف يستمر البناء الكامل للدين النبوي - العبادة والشريعة - عبر التاريخ عندما تصبح الآلية القديمة غير قابلة للتطبيق. كما يسمح هذا الموقف الجوهري للمقال بالتحدث بوضوح إلى المسيحيين الذين لم يقرأوا الكثير من التوراة. يفترض كثير من المسيحيين أن دين العهد القديم "يعتمد في معظمه على التضحية"، وأن المسيحية "تحل محله". لكن الأنبياء أنفسهم يرفضون هذا الاختزال. فإشعياء وعاموس وهوشع، وغيرهم من الأصوات النبوية، يؤكدون أن التضحية ليست أبدًا جوهر الدين بمعزل عن غيرها. ولهذا السبب استشهد يسوع بهوشع.

الإسلام كإعادة بناء للعبادة الإبراهيمية بعد بناء الهيكل: قابل للنقل، حامل للشريعة، وعالمي

"على المذبح" (لاويين 17:11)

بعد عام 70 ميلاديًا، لم يعد بالإمكان تطبيق تلك الآلية كما هي مكتوبة. لذا، لا تكمن الأزمة في قدرة الله على المغفرة، بل في إمكانية تطبيق النظام الإلهي بشكل كامل ومستقر دون اللجوء إلى استبدال غير مشروع. يقدم الإسلام نفسه كاستجابة ترميمية لهذه الحالة تحديدًا. فهو لا يدّعي اختراع إله جديد أو استبدال التوحيد الإبراهيمي بآخر غريب، بل يدّعي إعادة التوحيد الإبراهيمي كطريقة عالمية متنقلة للعبادة والطاعة، يمكن ممارستها دون الحاجة إلى محراب، مع الحفاظ على جدية الشريعة وحياة العبادة العامة. وعليه، تكمن أهمية الإسلام بعد الهيكل في بنيته: فهو يوفر آلية فعّالة حيث لم تعد الآلية القديمة متاحة. وهنا يجب توضيح سوء الفهم بشكل جليّ. فالجواب هو أن التضحية موجودة في العالم الأبوي، لكن هذا العالم لا يخضع لتشريعات سيناء كنظام قانوني ملزم. لا يُعرَّف إيمان إبراهيم بكهنوت مُقنَّن وتقويم مُحدَّد للمعبد، بل يُعرَّف بالإخلاص المباشر والثقة والطاعة ونبذ الأصنام. ويُوضِّح النقد النبوي في الكتاب المقدس لاحقًا أنَّ التضحية ليست جوهر الوفاء بالعهد بمعزل عن البر (إشعياء ١؛ عاموس ٥؛ هوشع ٦:٦). لذلك، فإنَّ وجود التضحية في الروايات

المبكرة لا يُثبت أنَّ نظام المذبح المركزي هو الوسيلة الوحيدة الصحيحة للتواصل مع الله في جميع العصور. ما يُثبته هو أنَّ العبادة يُمكن أن تشمل التضحية، بينما يبقى الأساس الأعمق هو الإخلاص والطاعة الخالصان. إذن، لا يدّعي الإسلام أنَّ "التضحية لم تكن مهمة قط"، بل إنَّ دين الله لا يُمكن اختزاله إلى تقنية مؤسسية واحدة، وأنَّ الحياة بعد الهيكل تتطلب شكلاً قابلاً للتطبيق من العبادة والشريعة لا ينهار بزوال المعبد. تُجسّد عبادة الإسلام المتنقلة - من صلاةٍ منظمة، وتوبة، وصيام، وصدقة، وحج - التوحيد العلني المُمارس في مختلف البلدان. وتُجسّد جدية الشريعة فيه جدية العهد: مجتمعٌ مُنظّمٌ على الطاعة لا على الارتجال اللاهوتي. وهذا يتوافق مع التسلسل الهرمي النبوي الذي أكده عيسى عليه السلام.

إن الصورة النبوية لسفر التثنية متشابهة في الشكل (التثنية 18:18).

إن أفق الأمم عند إشعياء مناهض للوثنية بشكل صريح:

وتشمل مهمة العبد بُعدًا تشريعيًا يمتد إلى الخارج (إشعياء 42: 1-4). وفقًا لهذا المعيار النبوي، فإن ثمرة الإسلام الأساسية ليست العظمة الإمبراطورية، بل إقامة حياة عبادة توحيدية راسخة - الصلاة العلنية لإله إبراهيم وحده - على نطاق واسع عبر القرون. إذا كان السؤال الجوهري هو كيف يبقى التوحيد قائمًا بعد سقوط الهيكل، فإن دينًا تتمحور حياته العامة حول العبادة والشريعة المتنقلة، دون الاعتماد على الحرم، يُقدّم نفسه كإجابة معقولة من حيث المبدأ. وهذا يُهيئ لسماع تعريف الإسلام لنفسه بوضوح: الإسلام لا يُعامل التوراة والعهد الجديد كسلطة قانونية مُلزمة للمسلمين. إنهما هنا بمثابة سياق تمهيدي - عالم النص الذي تُحدد فيه المساحة النصية، وأفق الأمم، والشكل النبوي، وقواعد النقل.

الاختبارات الكتابية للمدعين: سفر التثنية ويسوع عن المعلمين الكذبة

يتوقع الكتاب المقدس أن يدّعي الناس زوراً السلطة الإلهية، ولذلك فهو يضع معايير لتقييم هؤلاء المدّعين، ويتوقع من المجتمعات استخدامها. ويحذر سفر التثنية من أن حتى الآيات والعجائب لا تكفي إذا كانت الرسالة تُبعد عن الله.

«إذا قام في وسطكم نبي أو حالم أحلام، وأعطاكم آية أو معجزة، وتحققت الآية أو المعجزة التي قالها لكم قائلاً: لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفوها، ولنعبدها، فلا تسمعوا لكلام ذلك النبي أو حالم الأحلام، لأن الرب إلهكم يمتحنكم ليعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل نفوسكم.» (تثنية ١٣: ١-٣)

الاختبار الحاسم هو الإخلاص لعبادة الرب وحده. فالمدعي الذي يحوّل العبادة عن إله إبراهيم يفشل، مهما بلغت جاذبيته. كما أن سفر التثنية يُعرّف السلطة النبوية بأنها كلام مُبلّغ، ويُحمّل المسؤولية لمن يدّعيها.

"ويكون أن كل من لا يصغي إلى كلامي الذي يتكلم به باسمي، فسأطالبه به." (تثنية 18:19)

"أما النبي الذي يتجرأ على أن يتكلم بكلمة باسمي لم آمره أن يتكلم بها، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فذلك النبي يموت." (تثنية 18:20)

رغم وجود نقاشات حول كيفية تطبيق معايير "تحقيق النبوءات"، إلا أن الفكرة الأساسية تبقى قائمة: المدّعون ليسوا بمنأى عن التقييم. ويؤكد يسوع على الموقف التقييمي نفسه.

"احذروا الأنبياء الكذبة" (متى 7: 15)

«من ثمارهم تعرفونهم» (متى 7:16)

ويؤكد أن الادعاءات الدينية قد تكون صاخبة ومع ذلك يتم رفضها إذا لم تكن متوافقة مع إرادة الله:

ببساطة، يحظر الكتاب المقدس نفسه الثقة التلقائية بالسلطة الدينية، بل يشترط معايير محددة: عبادة الله وحده، والوفاء لإرادته، وتحقيق النتائج المرجوة. هذا هو الإطار الذي تقارن فيه المقالة بين بولس ومحمد، ليس من باب الإساءة، بل بتطبيق المعايير الكتابية نفسها باستمرار.

بولس ومحمد تحت نفس شبكة الاختبار

قبل تطبيق الاختبارات الكتابية، لا بد من توضيح أمرٍ واحدٍ للحفاظ على الموضوعية: في الفهم المسيحي السائد، يُصنَّف بولس عادةً كرسولٍ ومعلمٍ للكنيسة الأولى، وليس كنبيٍّ بالمعنى نفسه الذي يُصنَّف به موسى أو إشعياء. المقارنة هنا آلية وليست شخصية: فهي تبحث

في نوع الحل الذي يُقدَّم لأزمة ما بعد الهيكل عندما يُجاب عنها أساسًا من خلال التفسير اللاهوتي الرسولي بدلًا من ادعاء نبوي جديد وعلني.

يُعرّف الإسلام نفسه بوضوح: العبادة موجهة إلى الله وحده؛ الصلاة للمخلوقات محرمة؛ والعبادة تنتهي بإله إبراهيم. وهذا يتوافق تمامًا مع حدود سفر التثنية. أما المسألة المسيحية فتصبح أكثر تعقيدًا، ليس لأن المسيحيين يقصدون عبادة الأصنام، بل لأن التطورات العقائدية اللاحقة تناقش كيفية ارتباط التعبد ليسوع بعبادة الله وحدها. ولا يهدف هذا المقال إلى الخوض في نقاش علم المسيح برمته هنا.

يُقدّم القرآن نفسه تحديداً على أنه كلام مُتلى ومنقول.

وينفي تأليفه الشخصي للعقيدة.

التنوع المسيحي المبكر بدون إثارة: نزاعات حقيقية حول السلطة والقانون

يُعد التنوع المسيحي المبكر أمراً مهماً للمنهج التاريخي: لم تكن حركة يسوع الأولى موحدة عقائدياً منذ البداية، وخاصة فيما يتعلق بالقضايا التي أصبحت حاسمة بعد تمزق الهيكل - الشريعة، والأمم، وهوية العهد، وما يستلزمه الاستمرار مع أسفار إسرائيل المقدسة.

يؤكد العهد الجديد هذا الأمر بوضوح. أما مسألة ما إذا كان يجب على المؤمنين من غير اليهود أن يختتنوا وأن يُلزموا بحفظ الشريعة، فتبدو مسألة خلافية كبيرة.

"وكان بعض الرجال الذين نزلوا من اليهودية يعلمون الإخوة، قائلين: إن لم تختتنوا على طريقة موسى، فلن تستطيعوا أن تخلصوا." (أعمال الرسل 15:1)

وكان الأمر خطيرًا بما يكفي لإثارة جدل ومداولات رسمية (أعمال الرسل ١٥: ٢). ومهما كانت الاستنتاجات اللاهوتية، فإن هذا يُرسي حقيقة تاريخية أساسية: كان المسيحيون الأوائل يتفاوضون على الاستمرارية والسلطة تحت ضغط، لا يكررون ببساطة نموذجًا واحدًا لا جدال فيه. وهذا مهم لأطروحة ما بعد الهيكل لأنه يُعيد صياغة "مسألة بولس" بعيدًا عن الشخصية ونحو الآليات. إن حركة تتوسع في العالم غير اليهودي، وتُجادل في الالتزام بالشريعة، وتقترب من عالم يصبح فيه نظام الهيكل غير فعال، هي تحديدًا البيئة التي ستظهر فيها آليات استمرارية مختلفة.

لفهم سبب تطور المسيحية على النحو الذي شهدته بعد عام 70 ميلاديًا، لا بد من التطرق إلى الدور الذي لعبه بولس في صياغة مفهوم كفارة محوره الصليب، مفهومًا عمليًا ومتعدد الأوجه. ولا يُعد هذا نقدًا للدوافع، بل هو وصف لآلية لاهوتية تحل معضلة ما بعد الهيكل بطريقة محددة. ويُسهّل تحديد هذه الآلية المقارنة اللاحقة مع الإسلام.

إطار بولين لما بعد الهيكل: الاستبدال مقابل الترميم

مع الأخذ في الاعتبار هذا الانقطاع، لم تعد القضية الأساسية هي "من لديه مشاعر روحية"، بل أي نموذج استمرارية مبرر نصيًا وقابل للتطبيق تاريخيًا عندما يصبح نظام المذبح غير قابل للاستخدام. تربط التوراة صراحةً الكفارة بآلية الملاذ.

"لقد أعطيته لكم على المذبح للتكفير عن نفوسكم" (لاويين 17:11)

ويصوّر هذا النهج حياة العهد على أنها طاعة فعلية.

بعد عام 70 ميلاديًا، أصبح النظام القائم غير متاح. هذا الواقع يفرض خيارين. يتمثل أحدهما في الحفاظ على النظام في ظل الحرمان، وهو ما يجسده الدين اليهودي: تبقى التوراة مرجعًا أساسيًا؛ وتستمر الممارسات حيثما أمكن؛ ويُعترف بالخسارة كحقيقة لا تُنكر. أما الخيار الثاني فهو استبدال النظام القائم، حيث يُنظر إلى النظام المتمحور حول المعبد على أنه قد اكتمل أو تم استبداله بنظام جديد لم يعد يتطلب تشغيل الهيكل. هذا الخيار الثاني هو الدور البنيوي الذي يلعبه اللاهوت البولسي في التاريخ المسيحي. يمكن صياغة هذه المقارنة من منظور ميكانيكي بدلًا من اعتبارها هجومًا على الدوافع: السؤال هو: ما نوع نموذج الاستمرارية الذي يبنيه كل نهج بعد أن يصبح نظام المعبد غير متاح؟

لم يكن بولس هو من ابتدع الاعتقاد المسيحي بأن يسوع سيتألم ويموت؛ الادعاء هنا هو أن رسائله، واللاهوت اللاحق الذي بُني حولها، ساعد في تنظيم حل يتمحور حول الصليب كآلية تنظيمية للمصالحة في عالم ما بعد الهيكل.

إن الهدف هنا ليس تحديد الدوافع، بل وصف كيفية إعادة تنظيم السلطة والعبادة وهوية العهد بعد فقدان الهيكل - وكيف تتعامل الحلول المختلفة مع القانون والتوبة والتكفير.

كان بولس من أوائل مؤسسي حركة توسع الأمم في عالمٍ كان يتجه نحو تدمير الهيكل، ثم يعيش بعده. في ذلك السياق التاريخي، كان الإغراء واضحًا: إذا كانت آلية الطقوس غير متاحة (أو ستصبح كذلك قريبًا) وكانت الحركة تتجه نحو العالمية، فإن النظام يصبح عادةً قابلاً للنقل. حل بولس، كما تم قبوله في المسيحية اللاحقة، هو إعادة توطين مركز المصالحة في إطار كفارة يعمل بشكل مستقل عن نظام المذبح القائم. وبالتالي، فإن السؤال المنهجي الرئيسي واضح وغير مثير للجدل: لا تُعلّم التوراة أنه عندما يصبح المذبح غير متاح، يصبح حدث لاحق بديلاً شرعيًا يُلغي إطار الطقوس الموصوف. تنص التوراة على ما تنص عليه: يُقدّم الدم "على المذبح" للتكفير (لاويين 17: 11). في الوقت نفسه، يدعو الأنبياء الناس إلى التوبة والبر دون الإعلان عن آلية بديلة جديدة للتضحية.

يؤكد يسوع نفسه على استمرارية الالتزام بالشريعة.

وهو لا يصوّر الإخلاص على أنه خروج عن القانون؛ بل يحذر منه:

بغض النظر عما يخلص إليه اللاهوت المسيحي اللاحق، فإن هذه النصوص الأساسية لا تبدو وكأنها إقرار توراتي مباشر لاستبدال آلية المذبح بمحرك ميتافيزيقي جديد. يكمن الفرق في البنية: فالمحرك البديل تفسيري وليس تشريعيًا في سياق التوراة، وقد نشأ ضمن التفكير المسيحي المبكر والتوحيد العقائدي اللاحق. هذا الفرق مهم لأن أطروحة المقال تتعلق باستمرارية النبوة.

إذا كان حلّ ما بعد الهيكل يعتمد على بناء آلية لا تُجيزها التوراة صراحةً، يصبح السؤال: هل يُمثّل هذا استمرارًا أمينًا أم إعادة تفسير ضرورية؟ يُفسّر الكتاب المقدس المسيحي موت يسوع بمصطلحات فدائية. لكنّ الادعاء هنا أضيق نطاقًا وأكثر جوهرية: فبمجرد أن يتعطّل نظام مذبح التوراة، إما أن تُحافظ الجماعة على النظام في ظلّ الحرمان (اليهودية)، أو تستبدله بآلية لاهوتية جديدة (المسيحية البولسية السائدة)، أو تدّعي الحصول على توجيهات مُجدّدة تُعيد نظامًا مُتنقلًا للعبادة والشريعة (الإسلام).

ما يدّعي الإسلام تصحيحه في السرد وعلم الكلام: العودة إلى التوحيد النبوي

إذا كان ادعاء الإسلام بشأن الفرقان هو أنه يعمل كمعيار وتصحيح، فينبغي توضيح هذا الادعاء بعبارات ملموسة. فالإسلام لا يأتي ليتخلى عن كل ما سبقه، بل يرى أن الذاكرة الدينية وعلم اللاهوت قد يتغيران بمرور الزمن - إما بالمبالغة أو الحذف أو الاستبدال التأويلي - مع الحفاظ على استخدام المصطلحات الإبراهيمية. ولذلك، يقدم الإسلام نفسه على أنه يعيد إحياء الأساس الإبراهيمي: الله واحد لا شريك له، وليس بشرًا؛ والعبادة موجهة إليه وحده؛ والأنبياء يُكرمون ولا يُعبدون؛ والتوبة والطاعة تظلان محور الدين؛ والهداية تبقى ممكنة ومتاحة حتى عندما تكون آليات الحرم غير متاحة تاريخيًا. يكتسب إطار الإحياء هذا أهمية خاصة بعد عام 70 ميلاديًا، لأن تمزق الهيكل يفرض سؤالًا بنيويًا لا مفر منه: هل يعتمد دين الله على آلية مادية واحدة، أم أن الله قادر على إحياء حياة عبادة وشريعة فعّالة من خلال الوحي الذي ينتقل عبر الأراضي؟ يجيب الإسلام بأن الله يُحييها من خلال الهداية المُوحى بها والممارسة النبوية. الأساس الإبراهيمي: العبادة قبل الآلية المؤسسية تصبح هي القصة الكاملة

لا تصف التوراة والأنبياء الإيمان بأنه آلة مؤسسية في المقام الأول؛ بل يصفونه بأنه ولاء وطاعة للإله الواحد.

ليس تنظيماً ثانوياً؛ بل هو الحد الأول للعهد.

يُعرّف الهوية من خلال العبادة. لم يستجب الأنبياء، عند مواجهة انهيار إسرائيل، باختراع وسيلة جديدة للتكفير؛ بل دعوا إلى التوبة.

هذا ليس "معاداة للتضحية"؛ بل هو التسلسل الهرمي للدين النبوي: فالطقوس بدون صلاح فارغة. ويتمثل موقف الإسلام التصحيحي في أن التطورات اللاهوتية اللاحقة للكتاب المقدس قد تُخفي هذا التسلسل الهرمي بتحويل مركز الدين إلى آليات ميتافيزيقية، لا سيما بطرق تجعل الطاعة تبدو ثانوية أو اختيارية. وتقاوم تعاليم يسوع المحفوظة هذا التحول.

يدّعي الإسلام إحياء دينٍ محوره الطاعة والعبادة، لا مجرد التعبير عن الهوية. تصحيح اتجاه العبادة: تكريم الأنبياء دون تغيير مسار التعبد. من بين المفاهيم الأساسية التي يدّعي الإسلام تصحيحها حدود العبادة. فالنصوص المقدسة تجعل حصرية العبادة أمرًا حاسمًا.

ويؤكد يسوع مجدداً على اتجاه العبادة:

يؤكد الإسلام أن التعبد اللاحق قد يُشوش حدود العبادة، حتى مع النوايا الحسنة، عندما تُوجه الصلاة أو الدعاء أو التوكل المطلق نحو المخلوقات. ويُصحح الإسلام هذا الأمر بحزم: فالأنبياء يُكرمون ويُتبعون، لكن العبادة - الصلاة، والتضحية، والنذور، والتوكل المطلق - هي لله وحده. ولذلك، يتوخى الإسلام الحذر في استخدام اللغة التي تحمل دلالات لاهوتية، مثل تسمية الله بـ"الأب". ولا يكمن القلق في ضبط اللغة فحسب، بل في أن لغة الأب، في اللاهوت المسيحي اللاحق، غالبًا ما تتشابك مع مزاعم البنوة الإلهية التي تُعيد تشكيل بنية التوحيد. ويحظر الإسلام هذا التصنيف لحماية العبادة الخالصة ومنع إعادة تفسير التوحيد الإبراهيمي بشكل مختلف.

إن أولوية الله هي التوبة والبر، وليس مجرد وجود الطقوس.

تكتسب هذه المسألة أهمية ليس لأن التضحية كانت بلا معنى، بل لأن جوهر العهد ليس مجرد طقوس منفصلة عن الطاعة الأخلاقية. يزعم الإسلام أن أي إصلاح بعد الهيكل يجب أن يعود إلى هذا الجوهر مع الاستمرار في توفير توجيهات ملزمة للحياة الجماعية. ومن المفاهيم الخاطئة الشائعة التي يجب على هذه المقالة معالجتها -خاصةً للمسيحيين غير الملمين بالنص التوراتي- هو افتراض أن المسلمين يعتبرون التوراة والعهد الجديد مرجعًا ملزمًا لهم. هذا غير صحيح. فالقرآن والسنة النبوية هما المرجع الأساسي للعبادة والشريعة. وقد تم الاستشهاد بالكتاب المقدس في هذه الدراسة لأن الحجة تُطرح في سياق العالم التوراتي لإظهار أن مفاهيم الكتاب المقدس نفسه تسمح بتوسيع نطاق التوجيهات والتوحيد الموجه للأمم، ولأن تعاليم يسوع المحفوظة تُشكل مرجعًا مفيدًا لادعاءات الاستمرارية.

يدّعي الإسلام أن أوضح ثماره هي استعادة العبادة التوحيدية العامة على نطاق واسع، لا التوسع الإمبراطوري لذاته. لماذا يجب أن يكون هذا الادعاء "التصحيحي" منصفًا؟ هنا يجب أن يظل أسلوب المقال منضبطًا. تكون الحجة أقوى عندما تبقى آلية ومستندة إلى النصوص المقدسة بدلًا من أن تكون اتهامية. لا يدّعي الإسلام أن "المسيحيين سيئون" أو أن "اليهود عميان". بل يدّعي أنه بعد أن يصبح المذبح غير صالح للاستخدام، تظهر نماذج استمرارية مختلفة؛ بعضها يحافظ على ما هو قائم في ظل الحرمان، وبعضها يستبدله من خلال اللاهوت التأويلي، ويدّعي الإسلام الاستعادة من خلال الوحي المنقول وحياة العبادة القائمة على الشريعة المتنقلة - إعادة الدين إلى الأساس الإبراهيمي بطريقة تظل قابلة للتطبيق في جميع أنحاء العالم. هذا يمهد للمقارنة التالية: وضع عيسى ومحمد في نفس الفئة النبوية (العبادة الحصرية، والتوبة، والطاعة، والهداية المنقولة)، ثم مقارنة هذه الفئة بآلية بديلة لما بعد الهيكل - مع تطبيق نفس اختبارات "المعلم الكاذب/الثمرة" الكتابية باستمرار ودون ادعاءات مثيرة.

الفاكهة كعبادة لا كإمبراطورية: نقل الوصاية دون "القوة تصنع الحق"

أي حجة تستند إلى مفهوم "الثمار" معرضة للانهيار إلى مغالطة واضحة إن لم تُحدد بدقة. فإذا كانت الثمار تعني مجرد التوسع السياسي أو الهيمنة المادية، فبإمكان أي إمبراطورية أن تدّعي تأييدًا إلهيًا. وهذا ليس المعيار الكتابي.

إنّ إطار يسوع نفسه يمنع انهيار ذلك. فهو لا يتعامل مع الثمار كخريطة، بل يتعامل معها كنتاج أخلاقي وعبادي لشعب.

ويتبع ذلك مباشرةً منطق أن الأشجار الجيدة تُثمر ثمارًا جيدة، والأشجار الرديئة تُثمر ثمارًا رديئة (متى 7:17-20). فالثمر هو ما تُنتجه الحياة—الطاعة، والبر، والإخلاص—وليس فقط ما تُحققه الدولة. وبالمثل، عندما يُعلن يسوع عن نقل الوكالة:

هو لا يُشيد بالعبقرية السياسية، بل يُصدر حكمًا عهديًا: فالمجتمع الموكل إليه رعاية إلهية يُقيّم بناءً على ما يُنتجه في ضوء إرادة الله. ولذا يُصرّ المقال على تعريفٍ طقسي وطاعةٍ للثمرة. ففي الدين النبوي، ليست الثمرة الأكثر قابلية للقياس هي العمارة أو الثروة أو الحدود، بل هي العبادة: من يتلقى التعبد، ومن يُستعان به طلبًا للعون الإلهي، وكيف تبدو الحياة العامة للصلاة، وهل تم القضاء على الوثنية أم ترسيخها. وهذا يتوافق مع التوراة والأنبياء، الذين يُؤطرون الصراع الديني التاريخي مرارًا وتكرارًا على أنه صراع عبادة. الوصية الأولى ليست سياسية، بل طقسية.

إنّ "شماع يسرائيل" (الاعتراف الأساسي لإسرائيل بإله واحد) ليس شعاراً للدولة، بل هو هوية عبادية:

ولا يقيس الأنبياء إيمان الأمة بازدهارها، بل يقيسونه بعبادتها لله أو للأصنام. إن أفق الأمم عند إشعياء مناهضٌ للوثنية صراحةً. والتوقع النبوي هو أن انتشار الهداية الحقة سيكشف عجز الأصنام ويخزي من يثقون بها.

يُهاجم إشعياء بلا هوادة منطق صناعة الأصنام لأن القضية الحاسمة هي العبادة - ما يسجد له القلب والجسد، وما إذا كان الإخلاص مُقسَّمًا (إشعياء 44: 9-20). وفقًا لهذا المنطق النبوي، فإن "الثمرة" ليست روعة الحضارة، بل هي استعادة العبادة الخالصة لله الواحد والحفاظ عليها. وهذا يتوافق أيضًا مع إصرار يسوع نفسه على أن العبادة مُخصَّصة لله وحده.

تُشكل هذه المقولة ضمانةً: فحتى لو حققت الحركات الدينية نفوذًا ثقافيًا، فإنها تُقاس بمدى حفاظها على التعبد الخالص لله. فالحركة التي تنتشر ولكنها تُعيد عبادة وسيط أو تفرق التعبد لا يُمكنها أن تدّعي ثمارًا نبوية وفقًا للمعايير الكتابية، لأن الأنبياء يعتبرون عبادة الأصنام الخيانةَ المركزية. لذلك، تقترح هذه المقالة معيارًا لـ"منطقة خالية من الأصنام" - ليس بطريقة تبسيطية أو انتصارية، بل كمقياس متماسك لاهوتيًا للثمار. إذا كان استمرار ما بعد الهيكل حقيقيًا، فينبغي أن تكون ثماره ظاهرة في أنماط العبادة العامة: إزاحة الأصنام، وإعادة تركيز الصلاة على إله إبراهيم، وإرساء نمط حياة مستقر قائم على الطاعة. الثمار طقسية لأن الدين الكتابي طقسي. وهي سلوكية لأن التوحيد الكتابي ليس مجرد مفهوم؛ بل هو ممارسة. كما يحمي هذا التعريف المقالة من رد شائع: "تنتشر أديان كثيرة، وتتوسع إمبراطوريات كثيرة". لا يُجدي هذا الرد إلا إذا كان النقاش يدور حول السلطة. أما إذا كان النقاش يدور حول العبادة، فإن المقارنة تتغير. فوجود نظام سياسي كبير يظل وثنيًا لا يُرضي.

أفق إشعياء في فضح الأصنام. إن حضارة تحافظ على التوحيد نظريًا فقط، بينما يتوزع التعبد العلني بين عدة معبودين، لا تفي بالمعيار النبوي للتعبد الخالص. الثمرة المرجوة هي إنشاء مجتمع والحفاظ عليه، مجتمعٌ تتجه عبادته العلنية نحو إله إبراهيم وحده. وفقًا لهذا التعريف، يصبح الادعاء التاريخي للإسلام مفهومًا دون الوقوع في فخ "القوة هي الحق". ثمرة الإسلام ليست في حكم المسلمين لأراضٍ شاسعة في الماضي، بل في تأسيس حياة عبادة عامة راسخة، تحكمها الشريعة، موجهة نحو إله واحد، مبنية على الصلاة اليومية، والتوبة، والصيام، والزكاة، والحج - توحيدٌ مُجسّدٌ قضى، في مناطق واسعة، على عبادة الأصنام، وجعل العبادة الخالصة أمرًا طبيعيًا. هذه ثمرة لاهوتية، وليست تباهيًا إمبراطوريًا. يمكن قياس ذلك في سلوك العبادة: وضع الجبين على الأرض، والتوجه اليومي نحو الله، ورفض توجيه الصلاة إلى أي شخص آخر، وبناء حياة جماعية مستقرة تُنظّمها العبادة والشريعة. وهنا أيضًا يشتدّ الجدل حول ما بعد الهيكل. فقد أدى انفصال الهيكل إلى إزالة آلية المذبح التي كانت تُشكّل ركيزة أساسية في ممارسة التوراة. ولا ينبغي تقييم أي استمرار لما بعد الهيكل يدّعي أنه ترميم، بناءً على بناء دولة كبيرة، بل بناءً على ما إذا كان قد أعاد الأساس النبوي بشكل عملي: العبادة الخالصة، والتوبة والطاعة، وحياة عبادة عامة يمكن ممارستها عالميًا دون الاعتماد على مذبح في مكان مقدس. ولهذا السبب يجب تعريف "الثمرة" بهذه الطريقة؛ وإلا ستصبح الحجة عرضة لأبسط أنواع السخرية - "ماكدونالدز في كل مكان، لذا لا بد أن يكون صحيحًا" - وتتحول الفرضية برمتها إلى محض هراء. باختصار، معيار الثمرة في هذه المقالة ليس استمالة للسلطة. إنها دعوة إلى المقياس النبوي للدين: العبادة والطاعة.

"من ثمارهم تعرفونهم" (متى 7:16)

يصبح هذا، من هذا المنظور، اختباراً لما ينتجه التقليد فعلياً من عبادة عامة لإله إبراهيم بعد الانقطاع المؤسسي عام 70 ميلادي. وبمجرد تحديد هذا الاختبار بشكل صحيح، يمكن للمقال أن يقارن بين آليات ما بعد الهيكل دون جدل: الحفاظ على اليهودية في ظل الانقطاع، ومنطق الاستبدال المسيحي القائم على الكفارة، وادعاء الإسلام بالاستعادة القائم على الوحي المنقول وممارسة العبادة القانونية المتنقلة.

الخلاصة: مسألة ما بعد الهيكل ومطالبة الترميم

تتمحور حجة المقال في جوهرها حول قصة واحدة. فعلى مدى قرون، تمحورت عبادة إسرائيل وتكفيرها حول معبد قائم. وفي عام 70 ميلادي، أصبح هذا النظام غير قابل للتطبيق تاريخيًا. لا يعتبر الكتاب المقدس هذا الانقطاع مستحيلاً، ولا يشير إلى أن الله تخلى عن الهداية. بل على العكس، يتوقع الأنبياء ودانيال حدوث اضطراب وانتقال، بينما يُرسّخ يسوع شرعية العبادة من خلال الطاعة ونقاء العبادة وثمارها.

عند قراءة الكتاب المقدس كصورة شاملة متراكمة لا كخريطة جامدة، فإنه يحتوي على مساحة نصية لإرشاد أوسع: أفقٌ يطل على الأمم، ونتائج عامة تحمل في طياتها شريعة، وثمرةٌ مناهضة للوثنية يمكن إدراكها في التاريخ. ويزعم الإسلام أنه يعيد إحياء المفهوم النبوي الأساسي - عبادة إله إبراهيم الواحد الأحد، والتوبة، والطاعة - من خلال الوحي المنقول وممارسة الشريعة والعبادة في مختلف جوانب الحياة.

يُوضح هذا الإطار أيضًا التباين الذي حدث بعد سقوط الهيكل. فاليهودية الربانية تحافظ على حياة العهد في ظل الحرمان. أما المسيحية البولسية فتبني نموذجًا للاستمرارية قائمًا على الاستبدال، يتمحور حول الكفارة المُعبَّر عنها من خلال التفسير الرسولي. ويُقدِّم الإسلام نفسه على أنه استعادة: فالقرآن والسنة النبوية هما المرجع العملي للعبادة والشريعة بعد فقدان الهيكل، و"ثمرة" هذا النموذج لا تُحدَّد بالإمبراطورية، بل بالتفاني التوحيدي العلني الدائم. ونظرًا لهذا الانقطاع، يطرح هذا التساؤل: أيُّ هذه الادعاءات يُحافظ على العبادة الإبراهيمية الفعّالة على أفضل وجه دون ابتكار بديل طقوسي جديد؟

من المهم الإشارة في الختام إلى أهمية النبرة والهدف. لم تُكتب هذه الدراسة لفرض معتقدات معينة، أو لاستغلال النصوص، أو لتحقيق مكاسب طائفية. يتعرف العديد من القراء على الإسلام لأول مرة من خلال عناوين الأخبار السياسية، أو الصور النمطية الثقافية، أو الجدالات المتوارثة. الدعوة هنا أبسط: إذا كانت مشكلة ما بعد الهيكل حقيقية، وإذا كان القرآن يُقدم نفسه على أنه وحي مُنزل يُعيد الوضع النبوي إلى نصابه، فإن الإنصاف يقتضي دراسة الإسلام من جذوره لا من خلال الصور النمطية السائدة عنه.

«لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (القرآن 2:256)

لا يُطرح هذا كتنازل حديث، بل كنتيجة لما يدّعيه الوحي: هداية وإنذار يُوضّحان ويدعوان ويُقنعان. لا يدّعي المقال أن المسلمين لطالما التزموا بهذا على أكمل وجه، بل أن الأساس المعلن للنظام هو العبادة الموجهة إلى الله والمساءلة الأخلاقية أمامه، لا الإكراه على اعتناق الإسلام.

يستنتج هذا البحث وفقًا لشروط المقارنة. فإذا كان الانفصال الذي أعقب تدمير الهيكل حقيقيًا، وإذا كان الإسلام يُقدّم نفسه على أنه يُعيد إحياء المبادئ النبوية بدلًا من استبدالها بآلية طقوسية جديدة، فينبغي تقييمه بناءً على ما يدّعيه ويطلبه فعليًا. ولذا، يعود التحليل إلى سؤاله الأساسي: كيف يُمكن لدينٍ تشكّل حول التضحية على المذبح أن يبقى قابلًا للتطبيق بعد زوال المذبح؟ لقد فرض العالم ما بعد عام 70 ميلاديًا هذا السؤال على جميع التقاليد الإبراهيمية. وقد جادلت هذه الدراسة بأن الإسلام يُقدّم نفسه كإجابة متماسكة على هذا الانفصال، إذ يحافظ على العبادة والتوبة والشريعة والتوحيد النبوي دون الاعتماد على هيكلٍ أزاله التاريخ.